

2 me Année, No. 29

Lundi-22-1-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة

تليفون رقم { ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

السنة الثانية — القاهرة فى يوم الاثنين ٦ شوال سنة ١٣٥٢ — ٢٢ يناير سنة ١٩٣٤ — العدد التاسع والعشرون

فهرس العــــدد

من أحاديث العيد...

للدكتور طه حسين

ابتسم الصبح فابتسمت معه الثغور، وأشرقت الشمس فأشرقت معها الوجوه، وغنت الطير فتغنت معها نفوس بالآمال والأمانى وبالاهواء والميول، وتغنت معهـــا نفوس اخرى بالأحزان اللاذعة، والآلام الممضة، والعواطف التى تفطر القلوب وتسفح الدموع. واندفع قوم الى السرور العريض، واندفع قوم آخرون الى الحزن العميق، وتردد قوم بين هذا وذاك يأخذون من كليهما بحظ معتدل، ويؤلفون لانفسهم منهما مزاجا لاهو بالمشرق المبتهج، ولا هو بالمظلم القاتم، وانما هو شىء بين ذاك، فيه مكان للذة والأمل، وفيه مكان للالم والذكرى. واضطرب الناس أيام العيد بين دور الاحياء ودور الموتى، يتحدثون الى أولئك ويفكرون فى هؤلاء.

وكثير من حديث الناس الى الاحياء، وكثير من حديثهم عن الموتى، خليق أن يسجل ويتخذ موضوعا لألوان مختلفة من الادب والفن. ولكن هذه الاحاديث تقبل مع أيام العيد، وتذهب معها كأنها لم تكن. تترك آثارها فى نفوس النـــاس ولكنها لاتترك آثارها فيما ينشئون ويكتبون. لأنهم لاينشئون ولا يكتبون، ولأنهم ان أنشأوا أو كتبوا فقلما يقفون عند مايشعرون أو يجدون، انما يلتمسون موضوعاتهم فى السماء حينا، وفى السحاب حينا، وبعيدا

عن حياتهم انما . فان مسراحياتهم فهم لايمسون الا ظاهرا منها، وهم يمسونه فى رفق أقرب الى الجدب المؤنس منه الى الخصب الذى يحيي النفوس ويغذو القلوب

اما انا فقد كنت اتحدث الى نفسي والى اصدقائى فى أيام العيد احاديث مختلفة ،منها الباسم ومنها العابس ،فيها الجد وفيها الهزل . ولكنى كنت احتفظ لنفسي باشد هذه الاحاديث مرارة ولذعا ،لأنى أعلم ان الناس يكرهون فى أيام العيد وفى غير ايام العيد مرارة الحزن ولذع الألم . وأشهد لقد استقبلت يوم العيد بحزن عميق لأنى استعرضت صورا تعودت ان استعرضها كلما اقبلت الاعياد، وفكرت فيمن ازوره ويزورنى ، وفيمن اسعى اليه ويسعى الى،فاذا كثير من هذه الصور قد محى من صفحة الحياة ،ولم يبق له الا رسم فى صفحة القلب ،قوى عند قوم ، ضعيف ضئيل عند قوم آخرين. محيت هذه الصور من صفحة الحياة فلن اسعى الى أصحابها ،ولن يسعى اصحابها الى ، إما لأن أصحابها قد نقلوا من هذه الدار التى نضطرب فيها بالألم والأمل الى دار اخرى ، لاتعرف الحركة ولا الاضطراب، وإما لأن اصحابها مايزالون يضطربون معنا فى هذه الدار ،ولكن ظروف الحياة واسباب العيش قد نقلت اهواءهم عنا الى قوم آخرين ليسوا منا ولسنا منهم الآن فى شيء ،لقد كنت أبدأ زيارات العيد بهؤلاء النفر من الأصدقاء الأعزاء أكون معهم ليلة العيد ، فاذا تنفس الصبح فكرت فيهم ، واذا ارتفع الضحى سعيت إليهم ،فلقيتهم وكأننا لم نلتق منذ دهر طويل، وقضيت معهم ساعة قصيرة ضيقة لم أفرغ لهم فيها ،ولم يفرغوا لى لكثرة المقبلين والمنصرفين ،ولكنها على ذلك ساعة عريضة خصبة لكثرة مافيها من هذا الود الذى ينتقل الى قلبك مريحا عذبا لالشيء الا لأن اليد صافحت اليد ، ولأن التحية الهادئة البريئة من التكلف قد مست الاذن فملأت النفس حياة وغبطة وسرورا . فاذا قضيت مع هؤلاء الاصدقاء هذه اللحظة القصيرة الخصبة خرجت من عندهم وقد ادخرت من الغبطة والسعادة مايعيننى على احتمال اثقال العيد .فذهبت الى دار عدلى ثم الى دار ثروت ثم الى دار فلان وفلان . وقد اخذت الايام تتخطف هؤلاء الناس واحدا واحدا حتى لقد زرت هؤلاء الاصدقاء فقضيت معهم ماقضيت من الوقت ، ثم خرجت فاذا انا انصرف الى كوكب الشرق لا الى دار عدلى ولا الى دار ثروت ولا الى دار فلان وفلان من اولئك الذين كنت احب ان اسعى اليهم واغتبط حين يسعون الى اوحين يرسلون الى تحياتهم مع البريد . وكنت لا أكاد اتهيأ للخروج يوم العيد حتى ينبئنى المنبئون بأن فلانا وفلانا وفلانا من الاصدقاء قد اقبلوا وهم ينتظرون، منهم من يريد ان يبدأ العيد بلقائى لأن لقائى كان احب شيء اليه يوم العيد ، ومنهم من يريد ان يصحبنى فى زيارات العيد لأنه يجد فى هذه الصحبة لذة ويسرا .فاما الآن فأنى أنبأ بأن قوما آخرين قد اقبلوا وبأنهم ينتظرون، أما أولئك الذين كانوا يقبلون وينتظرون فقد انقطع اقبالهم وانقطع انتظارهم الى حين،لانهم يخشون الاحداث ويخافون الظروف ويشفقون من الجواسيس ويربأون بأنفسهم عن غضب السلطان . هم احياء ولكن ظروف الحياة قد قطعت ما بينهم وبينى من الاسباب ، كما ان ظروف الموت قد قطعت مابين الموتى وبينى من الاسباب . ولم تكن ايام العيد تنقضى حتى ازور دارا من الدور فى ناحية من نواحى القاهرة فالقى فيها ابتسام الزهرة النضرة ،والشباب الغض،والحياء التى تبتسم للحياة. وقد انقضت ايام هذا العيد فلم ازر هذه الدار لأنها محزونة لاتحتفل بالعيد،ولأن زهرتها النضرة قد اجتثت منها اجتثاثا،وانتزعت منها انتزاعا ،وحملتها الريح الى حيث لاينضر الزهر ولا تبتسم الحياة للحياة . لم أزر هذه الدار ولم انعم بتلك الابتسامة ولم اسمع ذلك الحديث، ولكن الله يشهد انى قضيت ايام العيد كلها ،ويظهر انى سأقضى اياما طويلة اخرى وان صوتا من الاصوات سيتردد فى نفسى جافا خشنا متعثرا موئسا كما تتردد النغمة من الانغام فى القطعة الطويلة من الموسيقى، وتسألنى عن هذا الصوت الذى تردد فى نفسى منذ اشهر وسيتردد فيها اشهرا واشهرا واعواما ، فهو صوت ذلك النعش حين خرج الحاملون به من الصلاة فى مسجد من مساجد القاهرة وهم يعالجون اثباته على سيارة من سيارات الموتى وهو يأبى عليهم بعض الاباء ثم يطيعهم ويستسلم لهم ، واذا خشخشة جافة كاقفال الباب، واذا النعش قد استقر ، واذا ازيز ضئيل نحيل يرتفع فى الميدان ثم يتسع ويضخم ، واذا السيارة تنطلق كأنها السهم الى ذلك المكان الذى لايعود منه من استقر فيه . واذا نحن نتبعها كاسفين ونعود كاسفين ،واذا الحياة تتصل بنا وتضطرب خطوبها حولنا، وتصرفنا عن انفسنا وعن الناس ،ولكن ذلك الصوت الجاف الخشن المتعثر يعود الى من حين الى حين فيذكرنى بذلك

(البقية على صفحة ٤٢)

لحظات التجـــلى

للاستاذ احمد امين

لكل انسان ـ وخاصة العقليين والروحانيين ـ لحظات تضىء فيها نفوسهم، حتى كأنها المرآة الصافية، أو الشعلة الملتهبة، كل جانب فيها مضىء، وكل العالم منعكس عليها، يراه فيها كما يرى السماء فى الماء.

يحس بهذا الاديب، فتراه حينا وقد غزرت معانيه وتدفقت عليه من كل جانب، حتى ليحار فى الاختيار، ماذا يأخذ وماذا يذر، وبم يفضل بعضها على بعض، وحتى كأنه يغترف من بحر، أو يملى عن حفظ، ويصدر عنه اذ ذاك القول السلس والمعانى الغزيرة، والشعر المتدفق، هذه اللحظات عنده هى «لحظات التجلى»، وتأتى عليه أوقات وقد جمدت قريحته، وأجدب فكره، يعانى فى البحث مايعانى، ثم لا يأتى الا بجماّة وقليل ماء، ويصعب عليه القول كأنه يمتح من بئر، أو يستنبط من صخر، وقد عبر الفرزدق عن هذا المعنى فقال «أنا أشعر تميم، وربما أتت علىّ ساعة ونزع ضرس أسهل علىّ من قول بيت» وتتاجه فى مثل هذه اللحظات بارد جاف، لا يستسيغه الذوق، ولا تألفه الروح، اشـــبه شىء بقطع الجلاميد، وبأجدال الحطب

ويحس بهذا الفيلسوف، فيشعر بلحظات تنكشف فيها حقيقة هذا العالم، فيراها ويستلذها، ويود ان تدوم، بل يود أن تعاوده الفينة بعد الفينة، ويتمنى ان يشترى عودتها بكل مامالك، وينفق فى ساعة منها كل متع الحياة الدنيا، يشعر فى هذه اللحظات بذكاء فى الفهم، وصفاء فى النفس، ولطافة فى الحس، تكفيه فى فهم هذا العالم الاشارة، وتجزئه الايماءة، يستشف العالم من وراء مظهره، ويلمحه من رموزه، ويشعر اذ ذاك بسمو فى العقل، ورقى فى الروح، لا يعدل لذتهما شىء فى الحياة ثم تذهب عنه لحظات التجلى على الرغم منه، فاذا به فى بعض أوقاته مظلم الحس، متخلف الذهن، بليد البصيرة، لا يتنبه للحن، ولا يفطن لمغزى، تستعجم عليه المدارك الظاهرة، وتَخفَى عليه الأشباح الماثلة. وتختلف لحظات التجلى عند الفلاسفة والصوفية كثرة وقلة، كما يختلف مدى التجلى بعداً وقربا، حتى ليحكى عن «افلوطين» الفيلسوف الروحانى المشهور أنه حظى بهذه اللحظات بضع مرات فى حياته، وحظى بها تلميذه «فورفوريوس» مرة واحدة

وتعرض للفنان فيلهم معنى يصوره بريشته أو يوقع به على قيثارته، فثمّ الابداع والجمال الرائع، والحسن البارع، ذاك يملأ العين حسنا بصورته، وهذا يملأ السمع والقلب عذوبة بنغمته، ثم تأتى على هـــذا وذاك أوقات ينضب فيها معينهما، ويفتر عنهما وحيهما

وترى العلماء من رياضى وطبيعى وكيماوى، يرزق أحدهم الحظوة بلحظة من هذه اللحظات، يلهم فيها فكرة يكون من ورائها مخترَعٌ عجيب، أو استكشاف خطير، عرض له أثناء بحثه، وقد لا تكون هناك علاقة ما بين ما يبحث فيه وبين ما ألهمه، بل قد لا تكون هناك مقدمات منطقية مطابقة لما ألهم، ويقف العلم حائراً لا يستطيع أن يعلل كيف نشأت فى ذهن هـذه العالم تلك الفكرة، وكيف فطن لها، بل يحار المستكشف نفسه كيف عرضت له وكيف ألهم بها

وبعدُ فهل يمكن أن نضع قوانين لهذه اللحظات، وهل هناك عوامل معروفة اذا استوفيت أمكننا اقتناؤها والحظوة بها؟ وهل يمكن أن نجمَع هذه الشروط فى زر كهربائى أو زر روحانى نفتحه فتتفتح علينا لحظات التجلى إن شئنا؟

لو استطعنا هذا لتضاعف الانتاج الادبى والعلمى فى هذا العالم أضعافا مضاعفة، ولسهل على الاديب أن يستوفى الشروط فما هو الا أن يمسك بقلمه فيغزر ماؤه، ويسيل أتيُّه، وتنثال عليه الألفاظ والمعانى انثيالا

لقد حاولوا من قديم أن يستكشفوا قوانين « التجلى » فقالوا ان مما يعين عليه جودة الغذاء ، وفراغ البال من هموم الحياة ، وصحة البدن ،وطمأنينة النفس، واستعانوا على نيل لحظات التجلى بمختلف الألوان . فقد قيل لكثير عزة ياأبا صخر ، كيف تصنع اذا عسر عليك قول الشعر؟قال أطوف فى الربّاع المخلية ،والرياض المعشبة، فيسهل على أرصنه ، ويسرع الىّ احسنه ، وقال الاحوص

وأشرَفْتُ فى نشز من الارض يافــع
وقد تَشعَفُ الايفاع مَنْ كَانَ مقصدًا (١)

ولجأ الأدباء من قديم الى الأزهار والرياض ، والمياه الجارية والمناظر الجميلة ، كما لجأ بعضهم الى الخمر يستلهمها ويستوحيها ، وتكاد تكون لكل أديب عادة يرى أنها علة غزارته ، ومفتاح إنتاجه ، وأنه يستنزل بها المعتصم من الافكار ،ويستسمح بها الآبى من المعانى . ولكن هل نجحت كل هذه المحاولات فى استكشاف قوانين التجلى ؟ أظن أن نظرة بسيطة تكفى للقول بأنها لم تنجح ، فقد تستوفى كل الشروط التى قالوها، فالصحة فى أجود حالاتها، والغذاء خير غذاء ، والكاتب أو الشاعر مطمئن النفس ، هادىء البال ، بين الرياض المزهرة ، والمياه الجارية ، والوجوه الناضرة ، وهو مع هذا أجدب ما يكون قريحة ، وأنضب ما يكون معينا ، ثم هو يكون على العكس من ذلك كله فيواتيه شيطانه ، وتتزاحم فى صدره المعانى ، وتتبارى على قلمه الآراء والافكار والالفاظ

ثم هذا أديب أوشاعر يجود قوله وتتجلى نفسه ، فى الاماكن الخالية والسكون العميق، وذاك لا يتأتى له هذا الموقف إلا فى الأوساط الصاخبة والحركة المائجة. وأديب لا ينتج الا اذا امتلأ جيبه واطمأنت نفســـه لحاجات الحياة ، على حين أن الآخر لا يجيد الا اذا فرغ وطابه . وعضه الفقر بنابه ، وتكاثرت عليه الهموم .

فأين قوانين التجلى اذا كان يحدث فى البيئـــة وضدها ، والظروف وعكسها ؟ قد تكون كل المظاهر وكل ما يحيط بالنفس يؤذن بحال انقباض وجمود ،واذا النفس مع ذلك فياضة جياشة متجلية ، وقد تكون المظاهر كلها تدل على نفس متفتحة للعمل ، مليئة بالفكر فاذا هى مجدبة متقبضة ، وترى الآراء القيمة والمعانى السامية قد تنبع من بيئة قاتمة . ونفس مظلمة كما تخرج الزهرة من طين ، أو كما يخرج الذهب من الرغام ، والحرير من الدود، وقد حكى لنا عن أدباء أخرجوا روايات هزلية تستخرج الضحك من أعماق القلب وحالتهم النفسية وقت تأليفها كان يسودها الحزن ، ويشيع فى جوانبها الالم والبؤس

أخشى ان يكون الذين قد وضعوا هذه القوانين وأمثالها للحظات التجلى قد تسرعوا فى وضعها ،فالانسان معقد كل التعقيد ، ولئن كان جسمه معقدا مرة فنفسه وروحانيته وعقله معقدة الف مرة بل آلافا، وإن العوامل التى تؤثر فى نفسه وروحانيته ليست الحالة البدنية، ولا الغذاء الصالح،ولا المناظر الجميلة، ولا الغنى والفقر، وحدها ، بل هناك عوامل أدق وأعمق وأغمض ، ان الانسان لا يعيش فى بدنه وحده ، ولا فى محيطه فقط ، بل إنه ليعيش فى أصدقائه الأقربين والأبعدين ، وإنه ليعيش فى آبائه الذين كانوا وماتوا ، وانه ليعيش فى ذريته الذين كانوا وسيكونون؛ وانه ليعيش فى أحلامه وآلامه وآماله، ويعيش فى شبكات من تموجات نفسية دونها مراحل شبكات التلغرافات والتليفونات،وتتسلط عليه أنواع من الأشعة لاعداد لها

لعلنا لانستطيع أن نستكشف قوانين التجلى الا إذا عرفنا نوع النفس التى تتلقى هذه الأشعة ، وعلمنا كل هذه المؤثرات ، وهيهات!!

احمد امين

---

(١) اليافع : المرتفع وشعفته الايفاع حركت نفسه وهاجت عواطفه والمقصد من يعمل القصائد

خنـــجرة

للدكتور محمد عوض محمد

أشهد ان الطبيعة قد تمنح ، فتسرف فى المنح ، وتعطى فتجزل العطاء وتنسى نفسها أحيانا ، فتكيل السعادة لمن رضيت عنه بمكيال هائل، وتبذير منقطع النظير . وكان ذلك شأنها يوم أفرغت على الرجل العجيب (أنطون سو كيلوف) أسجال الهبات : بأن منحته تلك الحنجرة الثمينة الرائعة !

أجل وان المرء لتأخذه الدهشة عن يمينه وشماله، ومن ورائه وأمامه ، ومن فوقه ومن تحته ، حين يفكر فى الوسائل المختلفه العديدة ، التى تتوسل بها الآلهة ، لكى ترفع من تحبه على الناس درجات ، وتحلق به فى ملكوت السموات : - ترضى عن هذا فتمنحه المال عن وفر وعن سعة ، وتحب هذه فتكسوها أثواب الجمال: ثوبا فوق ثوب - كأنها ورق الكرنب - ويحلو للآلهة ان تنعم على ذاك فاذا هو ذو جاه عريض طويل، عميق غليظ.

ولكن أغرب شيء تهبه الالهة هو من غير شك - تلك الميزات الجسدية : تلك القطع من اللحم والعظم والغضروف والجلد - يجرى فيها الدم احيانا ؛ وأحيانا لا يرى فيها دم مطلقا . وطورا يكسوها الشعر ، و كثيرا ماتكون صلعات عارية من الشعر - تلك الاجزاء الجثمانية ؛ التى يحسبها الجهال من مصادفات الولادة ، أو من غلطات الولادة، وفى الواقع وفى الحق هى السر الباتع الذى يحرك الفلك، وتدور له الكرة الارضية من الغرب الى الشرق.

وما على الذى يشك فى صحة هذه الدعوى ، او يريد ان يتهمنا بالغلو والمبالغة ، إلا ان يلقى نظرة يسيرة على التاريخ المكتوب وغير المكتوب، ويكفى ان يلقى النظرة على عجل وهو مغمض العينين ، ليرى كم من صلعة لامعة قد ساست الممالك ، ودوخت الجيوش ، وكم من ذقن غليظ استطاع اخضاع الاقطار وتسخير كل جبار . وها نحن نسوق للقارىء أمثلة لا تحتمل الشك أو الانكار.

هذه كيلو باطره ! بأى سلاح وبأية قوة استطاعت ان تخضع يوليوس قيصر ، وتلفه حول إصبعها الخنصر ؟ أبالقنابل والاساطيل ؟ أما بالجيوش والدبابات؟ أم بالغازات الخانقة وغير الخانقة ؟ لابهذى - لعمرك - ولا بتلك . بل بقطعة أنف مستدق مستطيل : خارت أمامها عزمة العاهل الرومانى الهائل ، الذى فتح الغال وبلاد الاسبان واستولى حتى على بريطانيا العظمى - التى لم تكن عظمى فى ذلك الوقت .

ثم شمشون : الجبار شمشون ، الذى استطاع أن يقتل ألفا من الفلسطينيين وما بيده سلاح سوى عظمة الفك الاسفل لحمار نفق حديثا، والذى استطاع أن يقبض على العمودين اللذين يمسكان الهيكل الأكبر - وقد احتشد فيه أعداؤه آلافا مؤلفة - أمسك عموداً باليمين ، وعموداً بالشمال ، ثم مال بالعمودين وهو يقول : « على وعليهم يارب ! » فاذا الهيكل يتداعى والسقف ينقض بمن عليه ، والبناء يندك بمن فيه . واذا الآلاف المؤلفة تقبر ، بما فيهم دليلة الخائنة الماكرة !

ألا رحم الله شمشون ! أنى جاءته كل هذه القوة وهذا الجبروت ؟ ذلك هو السر الخطير ، الذى أدلى به الى دليلة الخائنة ، حين أنبأها أن قواه كلها كامنة فى تلك الشعرات التى نبتت فى رأسه كما تنبت الاشعة فى رأس الشمس .

وهكذا كان عضو بسيط من أعضاء الجسم سبباً فى تحويل سطح الأرض ، وفى قلب مجرى التاريخ . . .

اذن لماذا نعجب من أن الآلهة حينما ارادت أن تغدق النعم على (أنطون) لم تزد على أن وهبته حنجرة ؟ . لم تهبه مالا ولا عقلا ، ولا ذكاء ولا فهما ، ولا طرفا ناعسا ، ولا وجها وسيما . بل كل ما منحته وحبته به : حنجرة .

***

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما
وصيرته ملكا هماما

هذا جائز فى عصام المذكور . أما (أنطون سوكيلوف) فلم تكن له نفس تستحق الذكر ، ولم يكن شجاعا ولا هماما ولا يعرف كراً ولا إقداما . ولم يكن صاحب علم ولا جاه ، بل صاحب حنجرة فحسب . يملكها وتملكه ، وليس له من حطام الدنيا شيء سواها ، وليس لها من حطام الدنيا شيء سواه وكانت هى سر سعادته ؛ واستطاع هو أيضا أن يجعلها سعيدة منعمة .

ليس على فضل الاله من حرجْ
انشاء ضاق الأمرُ ، أوشاء انفرجْ
ويدرك العلياءَ من به عرَجْ
وترتقى حنجرةٌ أعلى الدَّرَجْ !!

* * *

ان سر النجاح فى الحياة هو ماقاله سقراط : ان تعرف نفسك: وهكذا فعل انطون . فقدخلا الى نفسه يوما ،وجعل يجهد فكره الكليل فى معرفتها ، وفى الكشف عن أمرها . لعله ان يرى فى ركن من أركانها كنزا مخبوءا ، أو قوة مدفونة . فهداه طول التفكير ، والتدبير الكثير ، الى ان له حنجرة ليس لها فى العالم نظير . أجل وانها لجديرة بأن ترفعه ويرفعها الى المقام الاسمى والسِّماك الاعلى . وان ينفض بواسطتها غبار الفاقه الذى يوشك ان يقبره ويقبرها .

وكانت ساعة إلهام أدرك فيها أنطون أن برلمان انكلتره — أبو البرلمانات جميعاً — هوميدانه الوحيد وميدان حنجرته العزيزة ... عجبا كيف لم يوفق الى هذا الكشف الهائل من قبل ، فيقضى على عيش الضنك والفقر الذى لازمه طوال هذه السنين ؟

* * *

وفى مساء ذلك اليوم الخطير كان أنطون جالسا ـ وحنجرته ـ إلى رئيس (المحافظين) يحدثه حديثا شائقا طليا . والصوت يدوى من حنجرته دويا — ولولا أن الريح فى ذلك المساء كانت تهب من الجنوب ، لسمع أهل فرنسا صدى تلك الحنجرة تنبىء الساكنين على ضفاف السين . أن على ضفاف التاميز رجالا .

وأدرك رئيس المحافظين — ويا سرعان ما أدرك ! — أى كنز قد ظفر به ، وأى ذخر ثمين قد قدمته الآلهة له ولحزبه ! انهم بفضل هذه الحنجرة الرعدية لن يلبثوا طويلا حتى يتربعوا على دست الحكم ، ويتحكموا فى الدولة التى لا تغرب عليها الشمس .

ولم يبرح أنطون مجلس الرئيس إلا وقد حمل فى صدره ـ وفى جيبه ـ ألف دليل على أن نجم نحسه قد أودع بطن الثرى وأن نجم سعده قد أشرق فى السماء لامعا صاعدا .

* * *

كان أنطون من رعايا الروس ، وقد حاول السنين الطوال أن ينال الجنسية البريطانية، فلم تلق جهوده الا الفشل . ان الجنسية البريطانية أجل وأثمن من أن تمنح للصعاليك أمثاله أما اليوم فقد جاءته تلك الجنسية تجرر أذيالها ، وهى تمشى على استحياء ، نزلت عليه من المحل الأرفع من بعد طول تعززٍ وتمنعٍ ،

وفتحت بين يديه نوادى المحافظين ، المفرطين فى فى ارستقراطيتهم ، وفى عزلتهم . فجعل يغشاها هو وحنجرته التى كان صداها يدوى فى تلك الحجرات الهائلة ، فتمتلىء بها الآذان وتميل نحوها الاعناق .

ولم تمض أسابيع قلائل حتى أخليت له دائرة من دوائر البرلمان ، وحتى أقسم يمين الطاعة للملك ولدستور الدولة العظمى التى قلما تغرب الشمس عليها .

هنالك بدأت معجزته الهائلة تقرع الاسماع ، وتأتى بكل إبداع ، يوم تبوأ مقعده فى (وستمنستر) وقد لف على الحنجرة العزيزة كوفية من الدمقس الخالص ، برّاً بها ، وعطفاً عليها . وهى بهذا لعمرى جديرة بعد أن أصبحت ينبوع ثورة ، ومبعث قوة وصولة ، وعماد حزب ودولة .

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

٤ — البرنامج الخارجي فى طور التنفيذ

للاستاذ محمد عبد الله عنان

لم يكن أثر الثورة الوطنية الاشتراكيه الالمانية فى سياسة المانيا الخارجية أقل منه فى شئونها الداخلية . ولكن الثورة الوطنية كانت فى ميدان السياسة الخارجية اكثر توفيقا ، لانها الفت الميدان عند قيامها ممهداً صالحا للعمل القوى الجرىء ، ولان الشعب الالمانى يرى المسألة الخارجية مسألة قومية محضة ويؤيد الثورة الوطنية فيها تأييدا قويا صادقا . على أن هذا التوفيق الذى لقيته الوطنية الاشتراكية فى بعض نواحى السياسة الخارجية كان مقرونا من جهة أخرى بتطورات ونتائج لم تكن فى صالح المانيا ، ولكنها كانت نتيجة لما ابدته الوطنية الاشتراكية فى وسائلها من ضروب العنف والاندفاع

تولى الوطنيون الاشتراكيون الحكم والمانيا مازالت من الوجهة الدولية فى المركز الذى وضعت فيه بمقتضى معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) وهو مركز لا يجعلها على قدم المساواة مع باقى الدول العظمى من حيث الحرية فى تدبير وسائل الدفاع عن نفسها وتنظيم مواردها الاقتصادية طبقا لمصالحها ؛ وهو مركز يرى الوطنيون الاشتراكيون بحق انه لا يليق بالمانيا كدولة عظمى ولا يلائم كرامتها القومية . وكانت المانيا تجاهد مذ دخلت عصبة الامم (فى سنة ١٩٢٦) فى سبيل الانتصاف لنفسها فى مسألة الدفاع القومى لانها جردت بمقتضى معاهدة الصلح من سلاحها ؛ وفى سبيل التحرر من اعباء التعويضات الفادحة التى فرضت عليها لأن هذه الاعباء لبثت بعد الذى ادته منها خطرا داهما على مواردها القومية ونشاطها الصناعى والتجارى ، ولانها فرضت على اساس مسئولية المانيا فى اثارة الحرب الكبرى ، وقد ثبت فيما بعد بما صدر من تحقيقات ووثائق دولية مختلفة ان هذا الزعم باطل ، وان مسئولية المانيا فى الحرب ليست اكثر من مسئولية غيرها . وقد سويت مسألة التعويضات غير مرة ، ولكن المانيا لبثت تصر على وجوب التحرر منها ؛ وقالت كلمتها الرسمية فى ذلك منذ سنة ١٩٣٢ فى عهد حكومة الهرفون بابن ، وانتهت جهودها فى هذا السبيل بعقد مؤتمر لوزان فى صيف سنة ١٩٣٢ ؛ وخرجت المانيا من المؤتمر ظافرة بتقرير وجهت نظرها ، ووافقت دول الحلفاء فى البروتوكول الذى عقده المؤتمر على مبدأ الغاء التعويض نظير قدر محدد تؤديه المانيا لا يتجاوز عشر ماكان مطلوبا منها . والقت المانيا فى ذلك الحين ايضا دعوتها الى نزع السلاح الحقيقى طبقا لما نصت عليه معاهدة الصلح ، او انها تعمد من جانبها الى تسليح نفسها تحقيقا لمبدأ المساواة ومقتضيات الدفاع القومى

كانت مسألة التسليح اذن اهم مشكلة دولية تواجهها المانيا عند قيام الحكومة الوطنية الاشتراكية . ومسألة الدفاع القومى من اهم المسائل التى أثارتها الوطنية الاشتراكية وخصتها بكبير عنايتها . والوطنية الاشتراكية اشد ماتكون بغضا لمعاهدة فرساي واحتجاجا على نصوصها وفروضها الظالمة ؛ وهي تعتبرها مصدر كل مصائب المانيا ومتاعبها ، وترى وجوب الغائها او تعديلها على الاقل تعديلا يتفق مع كرامة المانيا وحاجاتها القومية . والمانيا تجاهد فى هذا السبيل منذ اعوام ؛ وقد استطاعت فى الواقع ان تظفر بتعديل كثير من نصوص المعاهدة ، ولكنها لم تستطع ان تحقق شيئا فى مسألة نزع السلاح والدفاع القومى

ولم يك إلا أن جالت هذه الخنجرة جولةً أو جولتين حتى سقط (الأحرار) المساكين ، صرعى لاحراك بهم ، وسقطت حكومتهم ، التى كانت تحسب أنها باقية على الدهر .

فاذا هى تندحر وتندثر وتمزّقُ كلَّ ممزّق .

ثم أذّنَ مؤذن بالانتخابات الجديدة للبرلمان الجديد ، فاذا خنجرة أنطون تكتسح كل شيء أمامها ، وتجوب البلاد من جنوبها الى شمالها ، فتندك أمامها المعاقل والحصون ، وتعنو لها الرقاب والأعناق . وتنجلى معارك الانتخاب عن فوز ساحق ماحق يفوزه المحافظون ، ويعودون الى البرلمان . يجرون ذيول التيه ، ويبرمون شوارب الخيلاء

وفى اليوم التالى غدا أنطون الى شركات التأمين فأمن على خنجرته بمائة ألف من الجنيهات .

إن الآلهة قد تمنح ، فتشرق فى المخ ، وتعطى فتجزل العطاء

ولألمانيا فى مسألة نزع السلاح نظرية تستمدها من معاهدة الصلح ذاتها . ذلك أن معاهدة الصلح قضت بتجريد ألمانيا من سلاحها ؛ وحددت جيشها العامل بمائة ألف ، وحصرت حقها فى اقتناء الذخائر والأسلحة فى أضيق الحدود ، وحرمت عليها أنواع الأسلحة الضخمة ؛ وأنزلت أسطولها الى وحدة بحرية ضئيلة ؛ وحرمت عليها إنشاء الطيارات الحربية ؛ وقضت عليها بالغاء الخدمة العسكرية الاجبارية ، وحرمت عليها انشاء أية تحصينات على حدودها الغربية على بعد خمسين كيلومترا من شرق نهر الرين ؛ وغير ذلك من الفروض المرهقة التى تجعل ألمانيا من حيث الدفاع القومى أضعف من أية دولة ثانوية ؛ وتجعلها غير قادرة على الدفاع عن نفسها إزاء الطوارئ (معاهدة فرساى — القسم الخامس — المادة ١٤٩ وما بعدها) . ولكن ميثاق عصبة الأمم الذى هو قطعة من معاهدة الصلح ينص من جهة أخرى على أن أعضاء العصبة يعترفون بأن تأييد السلام يقتضى تخفيض التسليحات القومية الى الحد الذى يتفق مع السلامة القومية وتنفيذ التعهدات الدولية . . . وعلى أن مجلس العصبة ينظم وسائل هذا التخفيض » (المادة ٨) . ونص من جهة أخرى فى ديباجة القسم الخامس من المعاهدة وهو الخاص بتجريد ألمانيا من سلاحها ، أن هذا التجريد إنما هو وسيلة لتمكين تنظيم تحديد السلاح تحديداً عاما بالنسبة لجميع الأمم . وقد أنشأت عصبة الأمم لجنة نزع السلاح ومؤتمره منذ عشرة أعوام تنفيذاً لما يقضى به ميثاقها ؛ واشتركت ألمانيا فى أعمال مؤتمر نزع السلاح منذ دخولها فى العصبة ؛ وجاهدت بكل ما وسعت فى سبيل تخفيض السلاح ؛ ولكنها لم تظفر بأية نتيجة ؛ لأن دول الحلفاء وفرنسا بنوع خاص ، لا تريد أن تجرى فى تسليحاتها أى تخفيض يذكر . ولهذا تقول ألمانيا اليوم إنه ما دام أن نصوص المعاهدة فى شأن تخفيض السلاح لم تنفذ ، وما دام أن تجريدها من السلاح كان مقروناً بوجوب اجراء هذا التخفيض ، فهى من جانبها فى حل من أن تسترد حقها كاملا فى تسليح نفسها وتنظيم دفاعها القومى . وهذا منطق سليم واضح ؛ ولألمانيا فيه كل الحق . ولكنه قوبل من فرنسا بأشد اعتراض ؛ وأبت فرنسا وبريطانيا العظمى على ألمانيا كل حق فى المساواة الفعلية فى التسليح ، واقترحتا وضع رقابة دولية على تسليحات ألمانيا . وأصرت ألمانيا على موقفها ورأت أن تختتم هذا الجدل العقيم ؛ فانسحبت من مؤتمر نزع السلاح ومن عصبة الأمم فى منتصف اكتوبر الماضى . وكانت خطوة جريئة ولكن موفقة من جانب الحكومة الاشتراكية ؛ وكان لها أكبر وقع فى سير السياسة الدولية . وفى نفس اليوم الذى أقدمت فيه الحكومة الألمانية على هذه الخطوة الحاسمة ، استصدر هر هتلر مرسوماً بحل الريخستاج واجراء انتخابات جديدة ليستفتى الأمة فى سياسته الخارجية ؛ وأجريت هذه الانتخابات فى ١٢ نوفمبر الماضى وخرج منها هر هتلر بما يشبه اجماع الشعب الالمانى على تأييده فى العمل لاستعادة مركز ألمانيا الدولى كدولة عظمى والاعتراف لها بحق المساواة فى الدفاع القومى وسائر الحقوق القومية الاخرى . واضطرت فرنسا إزاء هذا التطور أن تدخل فى مفاوضات مباشرة مع ألمانيا لبحث الموقف . وتجرى هذه المفاوضات منذ أسابيع . وتحاول انجلترا وإيطاليا أن تقوما بدور الوساطة والتوفيق . وبينما تؤيد إيطاليا وجهة النظر الالمانية إذا بانجلترا تتراوح بين التأييد والمعارضة ، فهى لا تريد أن تبقى فرنسا محتفظة بزعامة أوربا العسكرية ؛ وتخشى من جهة أخرى ان تعود المانيا الى زعامتها العسكرية القديمة . وقد قدمت الحكومة الالمانية مقترحات فى هذا الشأن خلاصتها ان يرفع عدد الجيش الالمانى العامل الى ثلاثمائة الف ، وان تعاد الخدمة العسكرية ، وان يكون لالمانيا حق استعمال وسائل الدفاع المختلفة ، وان ينقح دستور عصبة الامم لكى تكون اداة صالحة محررة من كل ضغط و نفوذ . وقد ردت فرنسا برفض هذه المقترحات باعتبارها مناقضة لمعاهدة الصلح ، وقالت بان تسوية مسألة التسليح لا تكون بزيادته وانما تكون بتخفيضه ، وإن تخفيض السلاح لا يمكن ان ينظم الا فى جنيف وعلى يد عصبة الامم طبقا لمعاهدة الصلح ، وما زالت المفاوضات تجرى بين باريس وبرلين من جهة ، وبين لندن وباريس وروما من جهة أخرى ، ولكن الذى لا ريب فيه هو ان المانيا قد كسبت أول مرحلة فى المعركة ، وانها تتقدم فى سبيل غايتها من تحطيم الاغلال التى فرضتها معاهدة فرساى على دفاعها القومى ، بل نعتقد أن المانيا قد بدأت تعمل بالفعل فى هذا السبيل دون انتظار لرأى فرنسا وحلفائها

وتثير المانيا الى جانب مشكلة الدفاع القومى عدة مشاكل أخرى ترى انها تمس مصالحها القوميه . من ذلك مسألة وادى السار الالمانى الذى انتزعته فرنسا لتستغل مناجمه الغنية حتى سنة ١٩٣٥ ؛ فألمانيا

تطالب برده او يجرى الاستفتاء المنصوص عليه فى المعاهدة ؛ ومنها مسألة المستعمرات الالمانية التى وزعت بين فرنسا وبريطانيا العظمى فالمانيا تطالب الآن بردها لانها تضيق بسكانها، ومصالحها الاقتصادية الحيوية تقتضى ان يكون لها مستعمرات ؛ ومنها مسألة الممر البولونى الذى يمزق بروسيا الشرقية الى قسمين ، فالمانيا ترى انها لا تستطيع الصبر على هذا التمزيق الى الابد ، وان كانت اليوم على تفاهم مؤقت مع بولونيا.

* * *

على ان الوطنية الاشتراكية الالمانية لم تكن موفقة فى ناحيتين خطيرتين من نواحى السياسة الخارجية ، هما المسألة النمسوية ، ومسألة العلائق الالمانية الروسية

فأما فى المسألة الأولى فقد حاولت الحكومة الالمانية أن تتدخل فى شئون النمسا بطرق شتى . ووجهت الوطنية الاشتراكية الالمانية إلى النمسا كثيراً من ضروب الوعيد والتحدى ، وحاولت أن تبث فيها دعوتها وأن تصبغها بصبغتها . ونذكر أن العمل على اتحاد الأمم الجرمانية من الغايات الاساسية التى ترمى إلى تحقيقها الوطنية الألمانية . والنمسا هى الامة الجرمانية المقصودة بهذا النص ، وهى ترتبط مع المانيا بكثير من الروابط الاقتصادية والاجتماعية . وكانت النمسا تضطرم من قبل بدعوة قوية إلى الاتحاد مع المانيا سياسياً واقتصادياً (Anschluss). ولهذا أرادت الوطنية الالمانية أن تقوم بمحاولتها الاولى فى سبيل هذا الاتحاد . ولكنها لجأت كعادتها الى الاندفاع والعنف ، وحاولت ان تعامل النمسا كدولة تابعة وان تملى عليها إرادتها ووحيها ، وان تثير فيها القلاقل والاضطراب ، وان تؤثر فيها بجميع وسائل الضغط والارغام . ولكن هذه السياسة القصيرة النظر انتهت الى عكس ما أريد بها . فقد أذكت فى الشعب النمسوى عواطف العزة القومية ، فنسى خلافاته الحزبية والتف حول حكومة المستشار دلفوس التى أبدت فى مقاومة الوطنية الالمانية حزما يثير الاعجاب وأعلنت النمسا ارادتها صريحة فى انها لا تريد أن تكون تابعة لحكومة برلين ، وقمعت الحكومة النمسوية كل شغب أثارته الدعوة الالمانية بمنتهى القوة وطاردت دعاة الوطنية الاشتراكية بلا رأفة ، وأنهارت فى الوقت نفسه دعوة الاتحاد (الآنشلوس) وانفض عنها أنصارها بعد أن رأوا ألمانيا تفسرها بالقضاء على الاستقلال النمسوى واستطاعت حكومة فينا أن تجعل من المشكلة النمسوية مشكلة دولية وأن تغنم تعضيد انجلترا وفرنسا وايطاليا فى الدفاع عن وجهة نظرها ضد ألمانيا

واما فى مسألة العلائق الروسية فقد ارتكبت الوطنية الاشتراكية الالمانية ايضا خطأ فادحا . وكانت المانيا منذ خاتمة الحرب تعمل دائما على توثيق صلاتها السياسية والتجارية بروسيا السوفيتية ، وتتخذ من هذه الصلات دعامة لسياستها الخارجية ؛ وكانت روسيا اعظم سوق للصناعات الالمانية بعد ان اغلقت فى وجهها الاسواق الغربية ؛ وكان التفاهم بين الدولتين محور التوازن السياسى فى أوربا الشرقية حيث تطوق المانيا بدولتين خصيمتين هما بولونيا وتشيكوسلوفاكيا، ولكن الوطنية الاشتراكية لم تراع هذه السياسة التقليدية ، ولم تفرق فى كفاحها للشيوعية بين الاعتبارات الداخلية والخارجية ، فالقيت تصريحات شديدة ضد روسيا السوفيتية من المستشار هتلر وبعض زملائه ، وردت الصحافة الروسية هذه الحملات بمثلها ؛ وكان لموقف حكومة برلين الجديد وقع سىء فى حكومة موسكو ؛ وظهر أثر هذا التوتر فى علائق البلدين واضحا فى اتجاه السياسة الروسية الى وجهة جديدة . وانتهزت فرنسا هذه الفرصة فعملت على توثيق علائقها مع روسيا باتفاقات جديدة ؛ واعترفت الحكومة الامريكية لاول مرة بحكومة السوفييت . ونظمت المبادلات التجارية بين البلدين ؛ واتجهت بريطانيا العظمى الى توسيع نشاطها التجارى فى روسيا ؛ وفقدت المانيا بذلك دعامة سياسية قوية ومصالح اقتصادية خطيرة . كان فى وسع الوطنية الاشتراكية ان تحرص على علائق المانيا وروسيا من الوجهة الخارجية ، وان تمضى فى نفس الوقت فى كفاحها ضد الشيوعية داخل المانيا على نحو ما فعلت الفاشستية الايطالية . ولكن الظاهر ان الوطنية الاشتراكية الالمانية لم تعرف بعد ان تفرق بين نزعاتها الشخصية وبين مصالح المانيا العامة ، وانها لا تتمتع بذلك الاتزان الذى تمتاز به الفاشستية الايطالية رغم صرامتها

* * *

هذه خلاصة الظروف والادوار التى تقلبت فيها الوطنية الاشتراكية الالمانية . وهى لم تعمل حتى اليوم كثيرا لألمانيا ،ولكنها عملت كثيرا لاثارة الاحقاد الجنسية والقومية، وسحق الديمقراطية والحريات العامة . وقد أثارت بذلك كثيرا من الخصومات على المانيا ، واساءت بوسائلها المثيرة الى هيبة المانيا وسمعتها ، وافقدتها كثيرا من العطف العالمى ؛ وجمعت كلمة الديمقراطية ضد المانيا فى خصومة موحدة مشتركة ، وبدت الفاشستية الايطالية للعالم اليوم ، بعد الذى شهده من جموح الوطنية الاشتراكية الالمانية وعنفها ، اجدر بالتقدير والاغضاء والتسامح من وليدتها ؟

«تم البحث»

محمد عبد الله عنان

صحائف المجد والخلود

الفن المصرى القديم

— ١ —

تمهيد :

تؤلف الكتب ، وتحبر الاوراق ، يتبارى فى اخراجها ابناء الامة ذات الفن أو التاريخ . ومصر ، أم التاريخ ، التى نهل منها جميع الوجود ، ومصدر الفن و الذى غذى بنعمته ونوره العالم من مبدأ الحياة . مصر ، التى هى البقعة الوحيدة التى هبط عليها طائر الفن الجميل ، ونزل على أرضها بوحى العظمة والعرفان ، أفقر الأمم جميعاً . اعتزازاً بفنها وتاريخها .

وكم جهود من مجهودات المصريين الحاضرين بذل فى سبيل تحقيق تلك الغاية وتمجيدها ؟ ! وكم هو عدد المؤلفات التى وضعتها أيد مصرية عن الفن المصرى القديم ؟ ! وهذه جهود الافرنج تملأ مصر بحثاً ودرسا ، وتغشى أرضها تنقيباً واستكشافاً . ثم هذه مؤلفاتهم عن الآثار المصرية وما فيها من فن وقدرة وجمال تغمر الدنيا جميعاً . بل إن فى متحفنا المصرى وحده مكتبة تجمع نحو تسعة عشر الفاً من بعض الكتب التى وضعت بلغات مختلفة عن آثار مصر .

الاجانب هنا وهناك ، هم الذين يأخذون وحدهم بشئون تاريخنا . وهم الجادون فى دراسة حضارتنا القديمة ، ينشرون بحوثهم فيها على العالم ما كان لمصر فى التاريخ القديم من فضل . ونحن ، نحن الذين كنا أولى من غيرنا بتلك الدعاية ، وأجدر من كل الناس دراسة لآثارنا وأخذاً بمعالم تاريخنا ، لا نتقدم الى الميدان بأقصر يد . ولا ننهض للاعتزاز بمجدنا بأيسر حال .

أليس هذا من بواعث الأسف ؟ ثم اليست حالنا فى ذلك أدعى الى النقد والسخرية ؟

نعم هناك بعض جهود مصرية ، لا ننكرها . وبعض أياد وطنية ، على التاريخ المصرى ، لا يجب أن نجحد فضلها . ولكنها بضعة ضئيلة . أملنا أن تتجسم وتتضاعف ، حتى تفيض على الناس خيراً .

***

ولعلنا جميعا ، نوقن فى أنفسنا بأننا مهما بذلنا فى خدمة وطننا الجهود ، ومهما ملأنا الأرض جداً وسعيا ، ووصلنا أركان القطر ذكريات وآثاراً ، فلن نبلغ الى غاية الخلود والعظمة ما بلغ أجدادنا المصريون القدماء ، الذين بهروا العالم اعجابا واعجازا

ولقد نفخر بهم ، ونعتز بمخلفاتهم ، ونشير اليهم كلما أعوزتنا الحقيقة الى اثبات شخصيتنا ، وأخذتنا النشوة بالتيه . نفخر بهم ، ونتحدث بمجدهم ، ولا نخجل من انفسنا أن لا يكون لنا ، نحن ابناء الحاضر ، فى ذلك فضل . بل نقف موقف الغراب الذى لبس ريش الطاووس فما كان ذلك يرفعه عن أن يظل غرابا . . .

أولئك الأجداد العظام النابهون ، لهم علينا ذمة ، ما أحرى بنا أن نفى دينها ، ونؤدى حقوقها . فهم لم يتركوا لنا ما تركوا ليلزمونا الفخر بهم جزافا ، ونحن قعود . ولكن لنكون جديرين بأن نرث عنهم ذلك المجد ، وبررة بجميل ذلك التراث الموهوب

فحبذا لو نعمل جميعاً لوصل حلقات هذه العظمة ، واضعين نصب أعيننا دائما هذه العبارة الخالدة

إن سئلنا ماتركنا بعدهم ماذا نجيب ؟

مصدر المدنيات

كان فريق من علماء الغرب ينسبون الاسبقية فى تاريخ الفن الجميل الى الاغريق . وانها المصدر الذى تدرجت عنه ثقافات البشر وقلما كان يعترفون بفضل لمصر .

وبالرغم من ان البحوث الأثرية والاستكشافات قد نشرت على الافكار نوراً بأن الاغريق انما أخذت قسطاً كبيراً من ثقافتها عن مصر التى سبقت حضارتها حضارة الاغريق بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، فان بعض آراء المتعنتين نحو مصر ظلت الى حين ، على نكران فضل مصر وعدم اقتباس الامم عنها .

وقد يكفى ان ندلل على ذلك بتلك الكلمة النزيهة التى انصف بها مصر « السير دنيسون روس » (Sir E. Denison Ross) مدير مدرسة العلوم الشرقية بانجلترا ، فى الكتاب الذى قدمه علماء الانجليز الى حضرة صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر ، باسم «الفن المصرى فى جميع العصور» (The art of Egypt Through The Ages) والتى دحض بها تلك الآراء العتيقة . حيث قال :

« مصر هى مهد الفنون . ولولا بقاء كثير من آثارها الاولى حتى يومنا هذا ، لقامت معلوماتنا عن التاريخ الاول للفنون على الحدس والتخمين . و كلما زدنا علماً باعمالها الجليلة تبين لنا ما تدين به الفنون المتأخرة لمصر ، وزاد جلاء . خذ مثلا الابحاث الاخيرة التى جرت فى صقارة ، فانها أثبتت نهائيا أن العمود المزمارى (الذى يشبه الناى او المزمار) Fluted- Column انما تطور

ووضعت فكرته بواسطة الفنانين المصريين (١) ومن جهة اخرى فان تأثير مصر فى آراء البشر وأفكارهم ليس أقل شأنا من تأثيرها فى عالم الفنون ، وسجلاتها تعتبر أقدم كنز فى تاريخ الانسانية بأجمعها

« وحينما بدأت مصر تسترعى انتباه الغرب كان شارحو مدنيتها هم رجال اللغة والمؤرخون . وأما قيمة آثارها ، ومافيها من معان ، فكانت من الأشياء التى تكاد لاتعرف . وقد حلت رموز الكتابة الهيروغليفية وقرئت . ولكن ماكان عندنا من تعصب موروث من ثقافتنا القديمة وتفكيرنا الحديث ، عاقنا عن أن نقدر فنا كهذا الفن ، كل مافيه غريب علينا . ولقد كان حتما على عالم الفنون أن يجاهد زمنا طويلا ، كى يتخلص من براثن الفكرة الاغريقية ، ويقترب من آثار الفراعنة البديعة ، ويلقى عليها نظرة بريئة خالية من التحيز . »

وإليك كلمة اخرى «للاميرة بيبسكو» (Princess Bibesco) وقد يذكر القراء اسم سموها حيث تردد ذكره فى مؤتمر الطيران الذى عقد بمصر اخيرا . وهى عقيلة رئيس المؤتمر — فى رسالة لها بعنوان «يوم مصر» (Jour d'Egypte) إذ قالت عند ذكرها للعمود المزمارى فى سقارة الذى سبق الكلام عنه :

« لقد وجدت مهد الفن الاغريقى . فان « إمحتب » وهو مهندس الملك « زوسر » أول من استعمل الحجارة الرملية فى مصر . وجاء بين كتابات المصريين القدماء أن هذا الفنان رفع الى صفوف الآلهة لقيامه ببناء الهياكل . وليس هناك مايدعو للدهشة فى ذلك ، لأن عليها مسحة قدسية ، ولأنها أجمل بكثير من تلك المشاهدة فى الاكروبول ، التى تشابهها . وقد تفوقها من أنها أتم تهذيبا . ويرجع تاريخ هذه الاعمدة المصرية الى ماقبل « فدياس » بثلاثين قرنا .

« وأنى لأحس ، عندما أنظر اليها ، بذلك الصلف الذى كان يركب رءوس من سبقونا . وهامصر قد فازت أخيرا بقصب السبق . أما هؤلاء الذين تحيزوا للفن الاغريقى ضد الفن المصرى ، فيجب أن يخفضوا رءوسهم من الخزى بعد استكشاف أعمدة سقارة »

(يتبع) احمد يوسف

بالمتحف المصرى

(١) كان نوع هذا العمود منسوبا الى الاغريق — Doric Column — على انه من ابتكار ثقافتهم حتى استكشف أخيرا فى سقارة بواسطة المرحوم المستر سيسيل فرث » وظهر أنه من ابتكار الاسرة الثالثة المصرية

مقـــدمة الاعاصير

للشاعر القروى رشيد الخورى

نزيل البرازيل

تعليق

كانت نفسى تجمجم منذ شهرين بكلمة تريد أن تعلن بها الى جمهور القارئين صدور هذا الديوان منذ دفع إلى لأكتب عنه كلمة فى « مجلة الشبان المسلمين » ـ وقد أهداه صاحبه اليها ـ ، لأن بمقدمته آراء أدين بها ، وأحب أن يدين بها شعراؤنا وكتابنا بين يدى زماننا هذا ؛ ولكن التوانى فى إخراج الفكرة حين ولادتها وحرارتها ، طالما جر الى موتها ونسيانها وخمود دواعيها ، وهذا ما حدث لى بشأن الكلام عن هذا الديوان .

بيد أن كلمة الاستاذ الكبير عبد الوهاب عزام ، عن هذا الديوان فى عدد مضى من الرسالة قد جددت فى نفسى حرارة الافكار التى فى مقدمته ، مما تقاضانى أن أسرع الى الكتابة عنها .

ولئن كانت كلمة الدكتور عزام كافية فى إعطاء القارىء صورة عن وطنية صاحب « الاعاصير » وعروبيته وتساميه . . الخ فانى أرى جمهور قراء الرسالة بحاجة الى أن يعلن اليهم عن الافكار التى فى مقدمته النثرية ، فان فيها دعوات ثائرة ، من العار ألا يتردد صداها فى نوادى الادب فى الشرق العربى وسط عصر الجهاد والفداء والزلزلة ! وليس من الانصاف للذى هتف بها على بعد الدار ونأى الشقة ، أن نمر بها كما نمر بأية فكرة أدبية ، فاننا نعتد ذلك عقوقاً لهــــذه النفس البرة التى لم تطرف عنها خوالب الدنيا الجديدة ولم تشغلها عن النظرة الرائية الآسية للوطن الاول . . .

وعجيب أن يكون القلب الخافق بهذه الوجيعة ، والبوق الهاتف بأصواتها التى سيسمعها القارىء خلال ما تنقله من السطور ، نزيل ديار فاتنة بأفانين حياتها وحريتها ، مما يجر الى نسيان الوطن الاول . بينما نجد الكثرة الراقدة بين فكى الحوادث وتحت مناسمها من

أدبائنا الذين يأخذ أمتهم الضغط والاضطهاد مصبحة وبالليل ، نجدهم كما يقول صاحب الأعاصير : « بين متهافت على وظيفة يخسر نفسه ليربحها .. وعابد بغيا يسفح شبابه على أقدامها .. و (علاك) أوزان تمر به قوافل الحياة قطاراً تلو قطار ، رازحة بعبر الدهر وعظات الأجيال ، وهو واقف إزاءها وقفة الغر الابله يتلهى بتشطير أو تخميس ! أو يبارى فى وصف ساعة معلقة على جدار كأن ليس فيما يجرى خلفه وبين يديه من ساعات الهول وأهوال الساعة ما يحرك له خاطراً أو يهيج له شاعرية . ! أو ليس من الغبن الفاضح ومن دواعى اليأس القاتل أن يموت فى الأمة شاعر فتصبح الأمة بأسرها شعراء ترثيه وتبكيه ، وتموت بأسرها فلا تجد لها شاعراً يرثيها ؟ ! ، أجل أيها الأخ النازح ! إنه لغبن فاضح وجهل بحقوق الأمم فى أعناق الرجال ، وغفلة عن رسالة الشعر والأدب ، وعن وصاية الأدباء على أممهم ، أن يهمل المتأدبون ناحية الجهاد فى هذه الحقبة من تاريخ العرب ، وأن يعكفوا على أدب الخليين الذين يذهبون الى اشباع الحاسة الفنية فيهم ليس غير . . .

وإنى لأفهم أن قلم الشاعر والكاتب ، ولسان الخطيب ، فى عصرنا هـــذا ، يجب أن تشيع فى منتوجه ألوان من آلام أمته ، وأن يخلّد من وقائع جهادها صورا تتيح للأجيال المقبلة ان ترى فيها حياة الألم الذى يأكل احساس الجماعة المثقفة فى هـــذا العصر لانهم بشاعريتهم المصقولة ، واحتكاكهم بالزمن ، وتيقظهم لمروره يعكسون صور ما يدركون من الحوادث بوضوح واستيعاب ، فاذا حولوا هذه الحساسية المصقولة إلى حياة اللهو والمتاع والخلو ، فقد تضيع معالم هذه الحقبة من تاريخنا أو تنبهم ، فضلا عما يصيب إحساسنا القومى من تبلد ونزوع الى حياة المتعة حيث الكتابات الداعية اليها تأخذ على عين القارىء مسالك الصحف . وفى هذا خسران الروح المعنوية فى عصر الجهاد ، وفى ذاك خسران أيضا لأننا فى جيل انتقال أحوج مانكون إلى تسجيل الأحداث مع المشاعر التى تصاحبها ولن يسجل المشاعر إلا شاعر .

ولن يستطيع الداعون إلى بناء الوطن العربى ان يخلقوا فى نفوس الشباب حرمة له مالم يأتوا اليهم من طريق الجد والمرارة ! فانهم يستطيعون حينذاك ان يشيدوا البناء بنجوم السماء !

والآن أضع بين يدى الرسالة نص مقدمة « الأعاصير » لتنتقى من أفكارها ما تتسع له صفحاتها ومنهاجها ، ولو أن الأمر الى لوضعتها كاملة تحت عين القارىء ليرى ذلك القلب الخافق رحمة لأمته ، والصوت الصارخ لآلامها ، والقلم الوفى لقضيتها

* * *

أما بعد فانى كتبت ما تقدم قبل أن أقرأ المقال الذى كتبه صديقى الأستاذ الاديب على الطنطاوى الدمشقى فى عدد مضى من الرسالة والذى ينعى فيه على أدبائنا الذين لم يعرفوا حق القومية فى عصر الجهاد والذين اعتنقوا الأدب للفن لا للحياة .. وقد عجبت لهذا التوافق فى ظهور هذه الأفكار بينه وبين صاحب الأعاصير .

ويلوح لى أن الأمر جد ، وأن زمان ظهوره قد شاءته المقادير ، وأن هذه الدعوة يجب أن يلقى التبشير بها ماله من الاعتبار عند أدباء العربية ، وأنه يجب أن ترسم الخطة التى ينبغى أن يتجه اليها أدب أمة تنتزى ألمــا فى السياسة والاجتماع .

وأنى لأستقبل المغرب وأرسل للشاعر القروى تحيتى حارة خالصة لا يطفىء من حرارتها عبور ماييننا وبينه من ديار وقفار وبحار . ثم استقبل المشرق فأحيى صديقى الأستاذ الطنطاوى تحية طيبه . ومنى نفسى أن يكون لهذين الصوتين المنبعثين من مشرق الشمس ومغربها ، صدى بالغ إلى قلوب قراء الرساله ؟

عبد المنعم خلاف

المقدمة

هذه الاعاصير ! وهى مختارات من شعرى الوطنى ، نحيتها عن سائر أشعارى لتعصوصف فى جووحدها . انها خواطر جامحة ، وأفكار ثائرة ، بلوت من صراعها فى صدرى مع اخواتها الوادعات ، ما أشفقت معه أن أجمع بينهن فى كتاب ، يَسُمْنَه من تنابذهن وحراشهن ما سُمْنَني من عذاب . ولم أخصها بالنشر ، على ما فيها من شدة وعُرام ، قبل مختلف المواضيع التى يشتمل عليها ديوانى ، إلا لاعتقادى أننا الى ما يبعث فينا الاثرة ويقوى العصبية ، احوج منا الى ما يزيدنا حباً للانسانية ، واصلاحا للبشرية .

هذه آيات أنبيائنا واسفار حكمائنا ، تشهد بأن لنا من فيض العاطفة الاجتماعية ، وحرارة الروح الانسانية وسطوعها ، ما ليس لسائر الأمم بعضه ، ولكن هذا الذى أردنا به السلام للعالم يعمل به أحدٌ سوانا . فلم يهد الناس شيئاً وعاد علينا نحن وبالا شديداً فلقد وزعنا الحب على أهل الدنيا ، حتى لم يبق لنا منه فضلة لذواتنا ، ولقد

بلغنا من انكار النفس والتطوع بخدمة الغرباء مبلغا جاوز بنا رياض فضيلة الكرم ، وشرف التضحية الى سباخ التمرغ والذل والدناءة . اننا أسلس المطايا قياداً ، وألينها شكيمة ، وأحناها ظهراً ، واتعسها مركبا ، بل نحن صيد شهى سائغ ، ليس أقرب منه منالا ولا أسهل منه مأخذاً ، فبدلا من أن يتكلف القناصون مشقة نصب الفخاخ لنا أو مطاردتنا وهقنا ، باتوا وجهادهم محصور فى كيف يتقون تهافتنا عليهم، ووقوعنا على أقدامهم، كما يدفع الرجل كلبه عنه حذراً منه على لباسه ، لفرط ما يرى من تحببه اليه وتوثبه عليه .

اما والله لو كنت شاعراً فرنسياً أو انكليزيا لحبست النفس على التبشير بالسلام ، ووقفت القلم على الدعوة الى الرأفة والحنان . لأن الرأفة والحنان زينة الأقوياء . أما وأنا سورى ، ومن لبنان ، فانى لاغرض لى فى الحياة أشرف من دعوة شعبى الى بغض الشعوب، ولا مثل عندى أعلى من استنهاض أمتى لمحاربة الأمم . وأنه لبغض اسمى من الحب ! وانها لحرب اقدس من السلم ! فما دمنا عبيداً ضعفاء فدعوتنا العالم الى السلام ليست من الفضيلة فى شىء أكثر من فضيلة العفو بغير اقتدار، حجة الذليل اللئيم ! فلنصافح السيوف، فاذا تحررنا فلنصافح الاعداء ! نحن نحب أوروبا ، ولذلك يجب أن نبغضها أولا ! نبغضها لنحاربها ، ونحاربها لنتحرر منها ، ونتحرر منها لنستطيع خدمتها بأحسن مما تخدم نفسها . نحن أصح الخلق أبداناً وأرجحهم عقولا ، وأحسبهم أرواحا ، فلو فكت عنا اغلال القوة الغاشمة لسبقنا العالمين فى مضامير العمران ، ولأسبغنا على العلم من دماثة اخلاقنا ما يروض أوابده ويصرف اعنته على أكمل وجوه الخير والصلاح . ولكننا ، دون هذه الأمم الحرة أمة شلتها قيود التقاليد الرثة والتعصبات المقيتة ، كلما فتحنا عيوننا على عيوبنــــا وحاولنا تحطيم اصفادنا لتسرى فينا الدماء ،ونعود فنعد فى الاحياء ، أحكم الظلم وثاقنا ، وضاعف ارهاقنا وألقى بنا فى مطارح الخسف والهوان ، طرحك الخرق البالية فى القمامات !

فيا أبناء وطنى ـــ لكم تجدون بينكم من دعاة الاستعمار ،نفراً يدعون الحكمة ويتكلفون الوقار ـــ يجلس أحدهم جلسة الوثن مترصنا جامداً، كانما ركزه المصور أو المزين رأسه على شكل لا ينحرف عنه . ثم يبسط كفيه على ركبتيه ،ويزوى بين عينيه ، ويقول خافضا صوته : ـــ ما لكم ولهؤلاء الشعراء ، ان هم إلا صبية اغرار ، يحرضونكم على المطالبة بالحرية ، ولا سلاح لديهم غير ألسنتهم وأقلامهم ،فيجلبون عليكم النقمة ويسوقونكم الى الهلاك . . . ألا أعرضوا عنهم ! كلوا أمركم الى الولية الامر فيكم ،أنها أمكم الحنون، وحاشا لأمكم الحنون أن تريد بكم شراً . . . أنها تهىء لكم خيراً جزيلا . تدربكم على الحرية ،فاذا صرتم لها أهلا وهبتها لكم لوجه الله لا تبغى اجراً ولا شكوراً ،فاسعفوها فى اصلاح نفوسكم تستقلوا، فالاستقلال رهن أهليتكم ، ووقف على استحقاقكم . الى ما شاكل من عظات تخثر النفوس وتوهن العزائم، وتطفىء جذوة الحماسة فى الصدور ـــ أما أنا فأقول لكم : يا أبناء وطنى لا يؤهلكم للاستقلال إلا الاستقلال نفسه . نفوسكم ضائعة . نفوسكم مغصوبة . جدوها أولا واستردوها ثم اصلحوها ! أفأنتم مسؤولون عما لا تملكون ؟

ان هؤلاء المضللين يلهونكم عن السعى الى تحقيق مطلبكم الاسمى، ببهرج من وعد ،وزيف من رجاء ،لتلبثوا حيث أنتم أو تمشوا القهقرى . أنهم يحاولون اقناعكم بان العبودية وسيلة الى الرق، والرق وسيلة الى الاستقلال . انهم يعدون الجائع بقميص ،ويمنون العارى بكأس ثليج ، ارأيتم منطقا أسد من منطق المستعمرين ؟ يا أبناء وطنى ! الاستقلال هرب من حمام ،وطب من سقام ،وكما أن النقه درجة بين الداء والصحة ،هكذا الحرية مرحلة بين العبودية والمجد . الاستقلال غاية بالنسبة الى الرق الذى انتم فيه ،ووسيلة بالنظر الى الرق الذى تنشدون،فمزقوا هذه العصائب ،وحطموا هذه القيود ثم رودوا نجع الاصلاح ،وحاضروا فى أشواط الفلاح ،فلا هدى لعميان ،ولا عدو لمقعدين .

ولقد يقول الناقدون ، ما شأن السياسة فى الشعر ؟ ان الشعر لأرفع من هذه الاباطيل . انه تنكب عن أغراض الدنيا وإعراض عن سفساف الحياة ،وتلمس للمثل الأعلى . ثم يقولون من ناحية أخرى ؛ ـــ الشعر الحقيقى هو ما مثل الحياة أكمل تمثيل ،والشاعر العظيم هو صورة محيطه الناطقة . هو دليل أمته الذى يتقدمها كعمود النور فى ليالى محنتها . رافعاً لواء الحق . هو بشيرها فى الشدة ينعشها بالرجاء . ونذيرها فى الرخاء يقيها مزالق البطر. فنقول لحضرات الناقدين : ـــ انا إذاً وإياكم لجد متفقين ، ولا خلاف بيننا إلا أن ما نسميه نحن وطنية أخطأتم أنتم فدعوتموه سياسة . اننا فى هذا الشعر لم نخض معارك انتخاب ،ولا تدخلنا فى أحزاب ، ولكننا جهرنا بالحرية وnadينا بالاستقلال ،وطالبنا بالحق ونشدنا العدل . والحرية والحق والعدل ليست من أباطيل الحياة كما تزعمون ،ولكنها

من أشرف مبادئها وأنبل غاياتها . ولقد عبرنا فى شكاوينا المحرقة عن أعمق جراحات أمتنا المطعونة فى صميم عزتها وإبائها ، وأعربنا فى صيحاتنا عن أسمى ما تغامر بلادنا فى سبيل استرداده من شرف مروم ، كان فوق النجوم ، فبات سحيقاً تحت أقدام الغزاة وسنابك خيل الغاصبين .

أما ذلك الشعر الذى تضحك فيه الحياة ، وترن قوافيه بألحان الحب والغزل ، وتعبق أنفاسه بنفحات الشباب ، فله ساعات تخلص فيها النفس من اعبائها وتتناسى الى حين ما هى فيه من شقاء ، وقد اتفق لنا منه قدر معلوم سننشره فى كتاب وحده ، ولكنه على كل حال ليس بالشعر الذى يتسم به أدب أمة مقهورة كأمتنا الراهنة ، انه لدولة مرفوعة لواء المجد ممدودة رواق العز كدولة أجدادكم فى الشام وبغداد والأندلس لا كدولة الانيار التى تحتها ترزحون ، والاصفاد التى فى حديدها ترسفون .

ان صراخ سوريا وعويلها يكاد يقض مضاجع النائمين فى المريخ ودخان غيظها يوشك أن يبطن القبة الزرقاء بقبة سوداء ، افتريدون منا أن نخرج المعجزات ، فنسمعكم همس الازهار وسط هذا الضجيج ، ونصور لكم الوان الشفق وراء هذا القتام ان لم نكن غرباء الشعور عن هذه الامة وإن لم تكن بعيون غيرها نبصر ، وبآذان غيرها نسمع ، ومثل غيرها ننشد ؟ الا على رسلكم ايها الناقدون افاما أن تأتونا بغير هذا الافلاس الوطنى آية والا فحسبكم تضليلا

وهبوكم لاتؤمنون بغير الارض وطنا ، وغير الانسانية عشيرة ، افتعتقدون ان الارض قد صارت جنة والناس فيها ملائكة ينعمون ؟ واذا كنتم ولاشك تشعرون بفقرها الى الاصلاح فلماذا لاتباشرونه من أقرب اقطارها اليكم ؟ ان الذى يغضب لحق هضم فى الصين اولى به ان يناضل لدفع حيف نزل بلاده ، والذى ينفر الى نصرة مظلوم فى آخر الدنيا لحرى بان يذود عن ضعيف يصرعه البغى بين شماله ويمينه ! إن الحرية هى الحياة بمعناها الشريف وهى اول حقوق الانسان ، فهل من شروط حبكم للانسانية ان تنكروا الحياة على أقرب ابناء الانسانية اليكم ؟ الا فاشتروا لوجوهكم براقع ايها المراؤون اوفاستروها بأكفكم خجلا ! إن الذى لايستطيع ان يحب نفسه وأهله فلن يحب من الناس احداً

يا أبناء وطنى ! ويقول لكم صنائع المستعمرين نحن مثلكم نحب الحرية ولكن أين عدتكم للحرب والصدام ؟ أين مدافعكم وأساطيلكم وطياراتكم وغازاتكم الخانقة ؟ فأقول للرعاديد لا تحتجوا بحاجتكم الى السلاح فأنتم الى الاباء وعزة النفس أحوج ! اشعروا أولا بهوانكم واغضبوا لكرامتكم فاذا فعلتم فأنا الكفيل بأنكم تجدون غير هذه الجبانة جوابا لمن يسألكم أين عدتكم للحرب والصدام ! فوالله انكم بطول نومكم على هذا الضيم واستكانتكم لهذا الذل قد برهنتم على أنكم أصبر الناس على الكريهة ! فلماذا تتقون الحرب ؟ أو تخافون موتاً شراً من الموت الذى أنتم فيه ؟ !

أفانتم أكلف بالسلام من مسيح السلام ؟ أأنتم أودع من حمل الجلجلة ؟ أما غضب فانهال بالسوط على الصيارفة وباعة الحمام يطردهم من الهيكل غيرة على بيت أبيه ؟ فبربكم أيها الشياطين الأتقياء كونوا آلهة أشراراً ولو مرة واحدة وذودوا عن بيوت آبائكم وأجدادكم ! واذا كان يشق على أيديكم الحريرية الناعمة أن تجلد بالسياط أو تضرب بالسيوف فحاربوا بسعف النخل وأغصان الزيتون ! حاربوا بالسلام ! حاربوا بالغندبة ! ان الشريف لا يعدم سلاحا ينافح به عن الحق ، أما الجبان فيموت الحق شهيداً بين سمعه وبصره وهو فى غاب من بنادق وحراب . ألا ليت الجبان كان لعيناً يزجر الطير ويفزع الثعالب فان هذا اللعين يخاف كل شىء ولا يخيف أحداً ! ! ...... الشاعر القروى

ابرة المغناطيس

للدكتور عبد الوهاب عزام

جلست الى مكتبي البارحة ، فوقع بصري على « بيت الابرة » فانفتحت أمامي سبل من الفكر لاتحدها غاية . واني اذ أحاول أن أقيد هذه الفكر على القرطاس لمحاول أن أسلسل بهذه الاحرف خطرات الفكر الخاطفة التي تطوى الاجيال والاقطار في لمحات . وتجمع السماء والارض في طرفة عين :

قلت ما أعجب هذه الابرة ! انها هادية لاتضل ، عارفة لاتخطىء. تنتحى الشمال مهما أدرتها عنه ، ولا تنسى عهد المغناطيس مهما أبعدتها منه . ومهما جمعت عليها من الحجب والظلمات ، وأضعفتها في المسافات ، فهي مولية وجهها شطره محسة جذبه ، موصولة به ، خبيرة بوحيه ، لاتنساه ولا تشرك في هواه . ليت شعري أأهدى من الانسان هذه الابرة الصغيرة! أجل انها لتهدى الانسان في البر والبحر والسفر والحضر .

أحسست حينئذ خفقان قلبي يذكرني أن في صدر الانسان ابرة أخرى مرشدة هادية ، تتوجه شطر معدنها أبدا ولا يصدها عنه تطاول الأمد وبعد المدى

ألم تهد هذه الابرة الأمم في ظلمات الجاهلية ، وغيابات القرون، فعصمتهم على العلات من الهلاك وأخرجتهم إلى النور على تكاثف الظلمات . ولاتزال هادية بصيرة بالغاية ، خبيرة بالسبيل اليها — كم عبدت الانسان شهواته ، وأضلته عن الخير مطامعه . فما زالت هذه الابرة تضطرب في صدره حتى اهتدى سبيل النجاة ، ووضع على هداها منار الطريق . كم طغت بالانسان ضغائنه وأحقاده، فمازالت هذه الابرة تخفق في جوانحه حتى عرف إلى الحب والألفة والمودة السبيل، واستقام على النهج لايميل . وكم غلا الانسان في ظلمه وعدوانه ، فمازالت تتحرك في أضلاعه حتى أشعرته نفسها ثم ردته إلى خطة للعدل محمودة ، وسبيل من الانصاف رشيدة . وكم غدر الانسان ثم اهتدى بها الى الوفاء فندم على ماقدم، واغتبط بما اهتدى . وكم أجرم الانسان فوخزته فأفاق، فكأنما صور خلقاً آخر ينفر من الاجرام، ويركن الى السكينة والسلام . وكم سفلت بالانسان سجاياه، فعملت في صدره حتى سمت به إلى العلياء ، وطارت به من الحضيض الى عنان السماء . وكم وقفت بالانسان همته فدفعته هذه الابرة العجيبة فمضى قدماً الى العمل ، وهمزته فدأب لايعرف الكلال . وكم أظلم على الانسان طريقه ،وعميت عليه أرجاؤه .واطبقت عليه سحائب سوداء ، وأحاطت به ظلمات لاشية فيها من الضياء ،فنظر اليها فاذا هي الى الغاية دليل، واذا هي على الظلمات قد استقامت على السبيل — وكم حارت بالانسان آراء مضلة . وأفكار غائلة ، وأقوال ساحرة ، فلما هلك أو كاد ، ودارت به الحيرة والالحاد ،أحس اضطرابها في نفسه فسكن ؛ فتهافتت الآراء وتهاترت الأقوال ، وثاب اليه هداه فوجد أمامه الله .

* * *

إيه أيتها الابرة الهادية ! ضل الانسان في صباه وهرمه ، وجهله وعلمه ، وسعادته وشقائه ، ووحدته واجتماعه ، وحله وترحاله،لولا هداية من الله فيك . وبصيص من نوره في نواحيك، وصلة به لاتنقطع ، وشعور به لايضل ، وجذوة من حبه لاتخمد .

وأما الذين أضلتهم الأهواء ، فعميت عليهم الانباء ، وتخطفتهم في الحياة المآرب ، فتذبذبوا بين شتى المذاهب ، وشرق بهم مطمع وغرب آخر، وتلونت لهم غيلان من الآمال والاعمال ، والذين فقدوا أنفسهم وهم لايشعرون، وضل سعيهم وهم يحسبون انهم مهتدون ، والذين يلبسون كل يوم ديناً ، ويبدلون كل حين رأياً ، ويلبسون لكل دولة وجهاً ، ولكل سلطان زياً ، ويتخذون لكل ساعة لساناً ، ولكل فرصة وجداناً ، فأولئك أغفلوا النظر اليك فحرموا الاهتداء بك، بل أولئك في إبرتهم خلل قدعرض، أو أولئك في قلوبهم مرض .

عبد الوهاب عزام

الجمال الطبيعي والفنى

للاديب الانجليزى كلاتون بروك

(A. Clutton - Brock)

عن كتابه (مقالات فى الفن Essays On Art)

للطبيعة جمالها وللفن جماله ، وقد بذلت مساع كثيرة لايضاح الفرق بين الجمال الفنى والجمال الطبيعي ؛ لكن نظرية « سيجنرجروس Signor Groce » كثيرة الأنصار اليوم ، وهى تقول : « إن الطبيعة تمد الفنان بالمواد الأولية فقط ، وإن الشعور بجمال الطبيعة هو مبدأ التدرج الفنى ، وان عقل الفنان موجد الترتيب والتناسب فى الطبيعة المهوشة ، وان الناس جميعهم قادرون على إيجاد هـذا الترتيب ولكن بدرجة محدودة . أما الفنان فيظهر هماً أكثر جمالا و كمالا ، الفنان قوى الاحساس يستطيع أن يصنع (Make) الجمال الذى يحسه ، الاحساس جزء من الصنعة .

ويقول جروس : « اذا كان الفنان يصنع جمال الطبيعة بشعوره به ، واذا كان من الممكن أن يتولد هذا الجمال بعمل عقله ، يكون جمال الطبيعة حينئذ من نفس الجمال الذى يظهر فى فنه ، ثم اذا ظهر لنا أن فن الفنان يختلف عن جمال الطبيعة فما ذلك إلا لاننا أنفسنا لم ننظر جمال الطبيعة كما نظره الفنان . ولاننا لم نحول كل التهويش الى ترتيب . واعلم أن هـذا الاختلاف بين عمل الفن وعمل الطبيعة ليس اختلاف نوع بل اختـــلاف قدر ، وأنه لا اختلاف فى الحقيقة بين جمال الطبيعة وجمال الفن لا فى النوع ولا فى القدر . ان ما يصنعه الفنان يراه ، وما يراه يصنعه ، كل الجمال فنى ، وان حديثك عن جمال طبيعي حديث خرافة » .

رغماً عن « جروس » وكل حذقه وما فى نظريته المتطرفة من حق لا يمكن أن نعتقد أننا نصنع الجمال حينما نراه ، وأن الفنان يصنعه حينما يحسه ، ولن نعتقد أن الجمال الذى يصنعه هو من نفس طبيعة الجمال الذى شعر به ، ولا هو — مثلنا — يقدر الجمال الذى يحسه حق قدره لانه يعلم أن لا بد له من صنعه ، وأنه شىء مستقل عن نفسه . الفن ليس أكثر من تأثر عقل الفنان بجمال الطبيعة، وعلى قدر ما فى العمل الفنى من عاطفة وإحساس يكون ما فيه من جمال .

اذا عرف الفنان أن الجمال الذى يحسه هو نتاج عقـــله ، لا يستطيع بعدها أن يقدره حق قدره، وانه اذا تمسك بنظرية « جروس » خرج عن كونه فناناً وأصبح ذا صفة أخرى؛ لاشيء يقتل الفن مثل الجرى وراء ايجاد جمال من نفس طبيعة الجمال الذى نراه فى الطبيعة .

نشاهد فى جمال الطبيعة صنعة Work Manships غاية فى الاتقان ، وانها كذلك غاية فى الاتقان : لانه لا يوجد فى الحقيقة ثمة صنعة ، الاشياء الطبيعية لم تصنع وانما ولدت ، أعمال الفن التى صنعت ، توجد فروق جوهرية بين الاشياء التى صنعت والاشياء التى ولدت ، ثم بين جمال هذه وجمال تلك .

لابد وأن يظهر فى كل من الاعمال الفنية جهد الصنعة ونقصها وخشونتها ، وان هـذا الجهد والنقص والخشونة انما هو فى الحقيقة روح جمال الاعمال الفنيـة وانه هو الذى يميزها من جمال الطبيعة، وحالما يمتنع الناس عن فهم ذلك ويستخفون بهذا الجهد والنقص والخشونة ، تراهم على الغـالب لا يظفرون حين يطلبون من الفن الجمال الطبيعي بغير جمال ميت .

يمكننا أن نفهم أحسن فهم الفرق بين نوعى الجمال اذا نحن تدبرنا كيف ينسل الجمال فى اللغـة ، هذا الفن الذى نمارسه جميعنا قليلا أو كثيراً ، والذى يصعب فيه ان لم يكن مستحيلا تقليد غاية الجمال الطبيعي : لا يوجد جمال فى مثل جملة : « سينال المعتدون جزاءهم » لانها تؤدى المعنى المراد تمـاما بلا زيادة ولا نقصان ، ويوجد جمال فى مثل جملة « ليال سرقناها من الدهر . . . » لان فيها، وان كانت تظهر أيضا غاية فى البساطة ، يحاول الشاعر أن يقول أكثر بألف مرة مما يستطيع أن يقوله ؛ ان السعى فى عمل ما هو خارج عن طاقة الكلمات هو الذى يحمل الجمال الى الكلمات ؛ تلك هى طبيعة الجمال الفنى التى بها يتميز من الجمال الطبيعي ، الاعمال الفنية هى دائما وليدة السعى لاتمام المستحيل ، لاتمام ما يعرفه الفنان أنه مستحيل ، وانه حينما لا يوجد هذا السعى ، حينما يكلف الفنان نفسه عملا فى وسعه اتمامه ، عملا لا يدل على غير المهارة ، حينئذ يخرج عن كونه فنانا . يقول (جروس) إن شعورنا بالجمال يتوقف على قوة احساسنا بعظمة الاشياء ، هذا صحيح ؛ غير أن قوة احساسنا هذه تبقى قوة احساس غير قادرة على صنع ما تحسه ! ان الفن ليس بمجرد اتساع طريق الشعور كما يزعم (جروس)، وانما هو تجربة عملية لاظهار مقدار شعور رجل الفن ، فن الفنان جواب لجمال الطبيعة وعبادة له .

الفن ايضاح حالات خاصة ، حالات اعجاب وتقدير ، هو التسليم ببعض اشياء أعظم من الانسان وحيث لا يوجد هذا التسليم يموت الفن .

ان هذا الفرق بين جمال الطبيعة وجمال الفن لا يرى فى الجمعية التى تعتقد أنها تستطيع أن ترفع سماء بمهارتها وعلمها وحكمتها ، أن الفن فى مثل هذه الجمعية يفقد كل خواص جماله .

أن الرجل الذى يتطلع الى الكمال فى الفن انما يخدع نفسه إذ الكمال لله وحده ، ولا ريب أن من عرف الله حق معرفته أصبح شبيها به وأمكنه أن يكون الجمال مثله ، ولكن انى للانسان ذلك ، بل أن العجز ليجعله غير قادر على اتمام موضوعاته التى توحى اليه بها معرفته الله ، معجبا بسمو لا يد له فيه ؛ وهكذا نرى النقص باديا فى كل جمال فنى ليس فى الفكر فحسب ، بل فى العمل أيضا ، وانه لنقص يحسبه خيبة وشناعة اولئك الذين يتطلعون الى مسمى الجمال الطبيعى فى الفن والى توقع رؤيته نظريا لا صنعياً ، مثل هؤلاء يفشلون أبداً فى الاعمال الفنية العظيمة لما يعروهم من قنوط وكد وجهد ؛ انهم موازين قدرة الانسان واعترافه بالعجز فى آن واحد ؛ بيد ان هذا الاعتراف القائم على الصدق والاخلاص ان هو إلا الجمال بعينه ، وأن الصفاء ليبدو فى جمال الفن ابداً ولكنه صفاء الاذعان لاصفاء الرضى ، صفاء القداسة ، وليس لاصفاء التجمل ، ان العظمة غير المحدودة فى كل ما يأتى به الفن ليست سوى اثر مهارة يلدها سعى الفنان الدائم ليعمل أكثر مما يستطيع . ليس للفنان ان ينشد مجرد الثناء وتصفيق الاستحسان بل يجب أن يعبد أيضا وان يبدع ما يقدمه بين يدى عبـــادته ، ذلك خير وابقى ، ليس الرعاة وحدهم الذين تقدموا الى قبر السيد المسيح ، بل الحكماء أيضا جاءوا يحملون اليه كنوزهم ، وفن الانسانية انما يكون بآثار حكمائها ، بل هو عبادة المجوس أكثر الناس بساطة فى عبادتهم .

(أيها الحكماء لقد قطعتم كل طرق المعرفة وانتهى بكم المطاف الى حيرة الراعى ؛ ولكنها الحيرة التى لا تذهب بالحكمة)

التى عندما تقف حائرة وتتوجه معرفة الانسان ومهارته وكامل شعوره الى الاقرار لما هو أعظم من الحكماء أنفسهم يكون ذلك الاقرار هو الفن ، ويكون له من الجمال ما يفوق جمال الطبيعة القدسى .

شرق الأردن — بشير الشريق
المحامى

الحقيقة . . . والخبز !

للاستاذ على الطنطاوى

كانت ليله باردة . تزأر فيها الرياح زئيراً مرعباً - ويهبط فيها البرد مجنوناً ، فيصطدم بالنوافذ والجدران . ويكون لوقعه على نافذة النادى الوطنى فى تورينو (فى بيه مونت) صوت كصوت الطبل . وكان النادى خالياً تلك الليلة الا من نفر جاءوه على رغم هذا البرد .. وتجمعوا حول الموقد يحتسون الخمر ، حتى اذا اكثروا من الشراب ، واثقل رءوسهم جو النادى الثقيل ، الملىء بالدخان ، استرخت اعضاؤهم ، وتمددوا فى كراسيهم ، يتجاذبون اطراف الاحاديث فى فوضى واضطراب . ولم يكن فيهم مصغ ، بل كانوا جميعا متحدثين صاخبين ..

ورأى خادم النادى تثاقلهم عن الذهاب ، فعلم انهم لا ينوون براحاً قبل الصباح . فمشى الى الباب على حذر ، ثم أغلقه دونهم وخرج وهو يذهب عنقه فى كتفيه ، ويتنفس الصعداء . وهرول يريد بيته وعياله

ولبث القوم على صخبهم حتى صاح منهم « دافى » :

- هو . . . ألا ترون هذه الفوضى مضجرة ؟

وكأنما نبههم بصياحه فأنصتوا . وقال صولين

- وماذا تريد ؟

- أريد أن نشرب قدحاً آخر على روح الدكتور !

فتبسم صولين ضاحكا من قوله ، وانبرى له بيير بحدة كالذى لدغته عقرب فقال :

- أتعود الى ذكره ؟ لقد ذهب الى الشيطان !

- ولكنه كان مخلصاً

- نعم ، كان مخلصاً للنمسا (عدوة الوطن) للنمسا التى عاش سبعة أعوام يتلقى العلم فى جامعاتها ، ويتلقى معه بذور الخيانة للبلد الذى أنشأه ، حتى اذا عاد أنكر هذا البلد الذى غادره ، طيعاً هادئا : يؤثر السلم والطمأنينة ، ولو فى ظل الأجنبى الغاصب ، على الجهاد فى سبيل الحرية ، فوجده حين عاد متيقظاً قد غمرته الروح المقدسة ، روح الجهاد من أجل الوحدة الايطالية ، وانتشرت فيه كالسيل

الجارف الذى لا يقف أمامه شيء ، قد آمن بها الرجال جميعا ، وتخطت جدران المنازل فاعتنقها النساء ، وجازت أبواب المدارس فاستقرت فى نفوس الأطفال ، ودخلت قصور الحكومة فاحست بها ، ووقفت منها موقف الصديق المرحب ، آملة أن ترفع لها راية حمراء ، تقود الشعب تحتها لانتزاع حريته من فم الأسد ، من النمسا ! وجد الدكتور ذلك فهاله وعمل على محاربته ، فسقط فى الميدان صريع خيانته

- لا تقل خيانة . ان القاء محاضرة علمية عن قيمة الامبراطورية الرومانية لا يعد خيانة. وحسب الدكتور أنه أرضى ضميره العلمى . وأظهر تاريخنا للناس مجردا من ثوب الغرور الوطنى

- أنه خالف الحقيقة . فروما سيدة العالم لا يمكن أن تكون من عنصر العالم . هى من عنصر اسمى . هى أم الشعب المختار

- لو كانت كذلك ، لما انقرضت ، الصالح يبقى أبداً . . .

وعلت الاصوات . حتى صارت المناقشة ضجة جوفاء . . فاسكتها صولين . . وقال بهدوء

- وماذا يعنيكما من الحقيقة حتى تتقاتلا من أجلها. مهما تكن حقيقة الامبراطورية الرومانية ، فالغرور الوطنى ، خير منها . مادام هو السبيل إلى حياتنا واستقلالنا

فصاح به دانى :

- هذه آراء خطرة ؟ قل لى من ذا الذى لا تعنيه الحقيقة ؟

- الجائع المشرف على الموت ! ان الحقيقة الواحدة هى فى نظره الرغيف ، ورغيف يابس أبلغ لديه من كل ماحوت مكتبة روما

- قد يكون ذلك ، ولكن الحقيقة تبقى لها قيمتها

- عند من تبقى لها هذه القيمة ؟ انك لم تفهم ماقلت ؟ ان الحقيقه يهتم بها ويفكر فيها من يشبع من الطعام . كما يفكر فى الحلوى ويتشهى الفاكهة . أما الجائع المشرف على الموت فينكرها . لا يحس بوجودها . يصبح عقله فى معدته . أفهمت ؟

ولاحت على شفتيه ابتسامة تهكم خفية ، اغتاظ منها دانى فقال بحنق :

- وماذا تعنى ؟

ثم بدا له ان هذا الحنق انهزام منه فتكلف الوقار وقال :

- وضح كلامك من فضلك

- كلامى واضح ، فاذا لم تتبينه فليس الذنب على . أعنى أنه يجب على الانسان أن يعيش ثم يتفلسف. كما قال المثل اليونانى . وكذلك الأمة ، لتستقل أولا وتبن لها كيانا قائما ثم تبحث عن الحقيقة . أما البحث عن الحقيقة أولا فجريمة !

- ولكن اذا لم نراع المبادىء الاخلاقية فى بنائنا كياننا قام على مبدأ الوحشية . وارتكز على عظام غيرنا ، افنبنى كياننا على عظام الابرياء ؟

- اذا لم يوجد غيرها . فلم لا ؟ اذا لم يكن بد من قتل احدكما . فكن أنت القاتل

- ولماذا ؟

وظن انه سيعجزه بهذا الاعتراض . وخالطه الاشمئزاز من آراء صولين والشعور بانه يفوقه علما وذكاء . فمط شفته السفلى متهكما وردد

- ولماذا بالله ؟

لماذا ؟ لأن حياتك اثمن من كل شيء . ولأن تنال حياة وحشية خير لك من أن تعدم الحياة

- ولكن الفضيلة

- لادخل للفضيلة فى أمر الحياة — ان الفضيلة والعدل والحقيقة والجمال الفنى — كل اولئك وسائل ابتدعها الانسان لتترف الحياة واستمرارها قوية ، فاذا استحالت وسيلة الى فقد الحياة فلتذهب الى لعنة الله

- وماذا تقول فى مبدأ الانسانية؟ وكيف يتفق ودعوتك الى قتل اخواننا من البشر ؟

- انا لاادعو الى قتل احد . ولكن من اراد قتلك فلا تقف منه مكتوف اليدين، أما مبدأ الانسانية فلا انكر انه من اجمل (السخافات) التى اخترعها الاقوياء لتكون قيدا جميلا، يقيدون به الضعيف

- اتقول انه (سخافة) ؟ يالله! لست اطيق سماع ارائك الشاذة

- أولا تظنها كذلك ؟

- من ؟ انا ؟ ابداً!

- وتراها حقيقة ؟

- طبعاً

- وترى البشر كلهم اخوانا ؟

- بلاشك

- اذن فانت ايها الايطالى اخو النمساوى الذى غلبك على بلادك

صحائف المجد والخلود

الفن المصرى القديم

— ٢ —

قد يكون من بعض الاسباب التى يقوم عليها عذر اولئك المنكرين لفضل الفن المصرى على أنه أساس الفنون الأخرى ، ان الفن المصرى هو فن فذ ، ذوأسلوب فريد يختلف عن بقية الفنون ، يجعله كما يعتقدون — أو يتوهمون — جافاً ليس حراً . أو أنه فن محلى بحت لقيامه على قواعد وشروط خاصة ، أو نظام قومى لايتعداه ، يجعله غير مألوف لأعين الأمم الاخرى ، أو غير متوافق مع مزاج كل أمة لشذوذه عن المعروف عندها . بخلاف الفن الاغريقى .فهو فن متفق مع جميع الفنون الأخرى فى الغرض والاسلوب . أو هو فن دولى ، فهو لذلك الفن الجدير الصادق. ولهذا أغضوا عن الفن المصرى القديم ، وقام فى أعينهم مكانه الفن الاغريقى كأساس لكل فنون العالم ، وذهبت هذه الفكرة الواهية بمعالم الحقيقة .

وسأحاول أن أدافع عن هذه الحقيقة ، وأقاوم تلك الفكرة التى لاينبغى أن تلبس العقول . وقد أتمنى أن أوفق لاثبات الجدارة للفن المصرى القديم ، وللتدليل على أنه الأساس ، إن لم يكن لكل تلك الأساليب من الفن التى يبهربها الغربيون أعيننا الآن ، فلا أقل من أن يكون صاحب الفضل على جميع أقوام العالم فى تدريبهم على كيفية رسم المجسمات وعلاج الألوان . أو أن يكون قد وضع النموذج المبدئى فى كيف ترسم اليد جسم الانسان رسما صحيحاً ، وكيف تتقن تصوير أعضائه وتمثيل عضلاته . ثم كيف بعد ذلك ينتخب ذوق الانسان الألوان التى تتناسق وتتفق تحت العين .

ارتباط الفن بالدين :

ان فنون العالم ، وقد بدأت كلها حياتها فى خدمة الديانات ، وفى تحقيق أغراضها المختلفة ، تدرجت الحال بها كلما تقربت الأمة الى فهم معانى الجمال ، وتوغلت فى أساليب المدنيـــة ، الى طرح التقاليد الدينية جانباً . وتخطتها الى التعبير عن الأغراض الدنيوية ، والكشف عن اسرار الطبيعة بما فيها من جمال وروعة . فاتفقت كلها على أن تعطينا أخيراً تلك الخلاصة البارعة فيما تتمتع به اليوم من مبدعات الفن .

الا الفن المصرى القديم . فانه ظل للديانة المصريه خادما أمينا ، محافظا على غايته واغراضه مدى الخمسين قرنا الطويلة التى عاشها فى التاريخ .ولم يخن عهوده يوما ما ، ولم يتزعزع عن خدمة الديانة حتى فى أنشط أدواره ، فى غضون عصر الاسرة الثامنة عشرة عندما جنحت الفكرة بفن تل العمارنة الى الاغراق فى تزويق القصور.

ومن ذلك كان الفن فى كل أدواره مرتبطا مع الدين برباط وثيق . يتأثر تبعا للانقلابات الدينية ، أو لحركات العبادة ذاتها . أوقل ان الكهنة كانوا غالبا يسيطرون على دقة الفن ، فيوجهونها حيثما شاءوا ، بحسب العقيدة والاهواء الدينية . لما كان للكهنة من سلطة عظيمة فى البلاد ، تقارب سلطة الملك ذاته ، بل ان سلطتهم كانت فى بعض الاحيان ، تفوق سلطة الملك .

ولكن الفن الذى تركه لنا أولئك القدماء ، أعطانا ، مع ذلك ، اخر مايشهد بقدرتهم وكفايتهم ، وأصدق مايعبر عن نضوج اذهانهم وا كتمالها . بل أعطانا فى كل أسبابه شواهد لاتحصر من البراعة والسمو والابداع ، مع وافر من الرشاقة والجمال . فى حين أن كل فن ، قام أو يقوم بخدمة الديانة بعده ، وقف طويلا فى طريق الجمود ،

ونازعك على خبزك ، واتخذك عبداً له ؟ لا احسبك من البلاهة بحيث تقول ان الجلاد الذى يعذب السجين ويشوى جلده بالسياط هو أخوه

ـ انك تهدم الاخلاق من اساسها !

ـ ذلك خير من أن تنهدم امتى التى تبنى الآن . ولست من رأى الدكتور الذى بحث عن الحقيقة فى شعب يبحث عن الخبز . وقد يأتى يوم يصبح فيه من الشهداء . ينصب له تمثال . اما الآن فليس الاخائنا

*
* *

ولم يعد يطيق البقاء بين هؤلاء السخفاء الذين يذبحون امتهم بسيف من الذهب . . . فخرج من النادى والسماء تهبط على الارض . فى رعد وبرق ، ففتح فاه ونشق الهواء الطلق ، وصاح صيحة النشوان:

ـ بهذه الثورة السماوية ، تكون حياة الأرض . .

دمشق — على الطنطاوى

الى الآنسه لطفية النادى

صور خالدة

من بطولة المرأة العربية

نسيبة بنت كعب المازنية :

سيدة امتلأت كرما ونبلا وفاضت شجاعة وحماسة وازدانت بكل مايزين المرأة من قلب رقيق وحساسة قوية وعطف شديد ، كما تحلت باقدام الرجال وحزمهم

خرجت هى وزوجها زيد بن عاصم وولداها عبدالله وحبيب(١) فى ذلك النيف والسبعين من الانصار يوم العقبة الثانية يريدون رسول الله المصطفى يبايعونه مستخفين لئلا يؤذيهم الجاهلون ، فبايعوه والناس نيام فى ثلث الليل الاخير فى اليوم الاوسط من أيام التشريق من السنة الثالثة عشرة للبعثة ؛ وعادوا الى المدينه ووجوههم تطفح بالبشر بما نالوا من خير ، وقلوبهم ترقص طربا بما نفحهم الحق سبحانه من نوره ، من نعمة الايمان ونور الهدى

كان يوم أحد ـ يوم تلك الغزوة التى كاد ان يقضى فيها على المسلمين ـ فاظهرت نسيبة ـ رضوان الله عليها ـ من رباطة الجأش والاستبسال فى القتال مالم يكن للابطال المذاويد من فرسان العرب المغاوير

فقد التحم الجيشان (٢) وكانت الدائرة ـ اول الأمر ـ على المشركين فمال المسلمون على الغنائم وشغلتهم الأسلاب ؛ فتجمع المشركون ثانية وزحفوا عليهم زحفة اطارتهم كل مطار ولم يبق حول رسول الله الانفر قليل فيهم ابو بكر وعمر وعلى وسعد وطلحة والزبير ونسيبة هذه وزوجها وابناها . ومارأت نسيبة دم المصطفى يسيل على وجهه ، ورباعيته قد كسرت . ودخلت حلقة المغفر فى رأسه حتى طرحت قربتها التى كانت تسقى منها العطاش وانتضت مهنداً تقاتل دون الرسول ببسالة وإقدام فائقين حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيها « ما التفت يمينا وشمالا الا وأناأراها تقاتل دونى » .

ولقد جرح ابنها عمارة فى عضده اليسرى ضربه رجل كأنه الرقل (النخلة) ومضى عنه فجعل الدم ينزف فقال رسول الله « اعصب جرحك فأقبلت أمه ومعها حقائب فى حقويها قد أعدتها للجراح — والنبى واقف ينظر فضمدت جرحه وقالت انهض بنى فضارب القوم فجعل النبى يقول « ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة » وإذا بضارب ابنها يظهر فقال المصطفى « هذا ضارب ابنك » فاعترضت له وضربت ساقه فبرك فابتسم الرسول وقال « استقدت يا أم عمارة ، ثم أخذت تعل الرجل بالسلاح حتى أتت عليه . فقال الرسول « الحمد لله الذى ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك » . وقد جرحت اثنى عشر جرحا وهى لا تعنى حتى ضربها ابن قمئة ضربة غائرة فى عنقها ، فنادى رسول الله « عمارة أمك ! أمك ، اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان » . فلما سمعته قالت « ادع الله أن نرافقك فى الجنة » فقال « اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة » فقالت « ما أبالى ما أصابنى فى الدنيا » .

ولنستمع اليها تحدثنا هى عن بلائها ذلك اليوم : « قالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والدولة والريح للسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى » قالت راوية الحديث فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت من أصابك بهذا ؟ قالت « ابن قمئة أقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس

« يتبع »

(١) الاصابة ج ـ٧ـ والطبرى وابن هشام . (٢) ابن هشام

ومصر لايجب أن تعتبر وثنية بكل المعنى . لأنها فى كل أدوار تاريخها كانت متغلغلة فى أسباب الديانة ، مراعية للخير والصلاح بكل دقة ، تقدر الحساب والعقاب ، وتعمل للآخرة ؛ حتى طبعت ارضها بطابع دينى . يقرب كثيرا فى بعض الاحيان من الحقيقة . وفنها من أجل ذلك ، فى مسحته القدسية ، يجعلنا بعيداً عن الحقائق الأرضية ، بما يفوق الفن الاغريقى . ولكنه فى الوقت نفسه نابض بكل معانى المقدرة والرزانة ، متواضع مع الافكار البشرية ، مخلص كل الاخلاص فى التعبير عن الانسانية الأولى .

احمد يوسف
بالمتحف المصري

من ثبت مع رسول الله فضربني بهذه الضربة ولقد ضربته ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان (١)

وهناك موقف آخر من مواقف بطولتها الخالدة يوم خرج خالد ابن الوليد في جيش فيه ولداها لقتال مسيلمة الحنفي . فاسر مسيلمة ابنها حبيبا فعذبه واراد فتنته عن دينه ، ولكن انى لهذا الشهم الكريم سليل تلك السيدة الكريمة الباسلة التي غرست فيه الشمم وقوة الايمان يوم ان ارضعته . أنى له ان يفتن في دينه أو يصبأ عن عقيدته.

روى ابن هشام (١) في السير مانصه « ... وابنها حبيب الذي اخذه مسيلمة صاحب اليمامة فجعل يقول له أتشهد ان محمداً رسول الله فيقول نعم ، فيقول افتشهد انى رسول الله فيقول له اسمع فجعل يقطع منه عضواً عضواً حتى مات في يده لايزيد على ذلك : اذا ذكر رسول الله آمن به وصلى عليه ، واذا ذكر مسيلمة قال له اسمع ، فلما بلغها هذا خرجت الى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً مابين طعنة وضربة »

* * *

هذه هي نسيبة بنت كعب التي كانت مثلا عاليا أعلى في التضحية والاقدام ، والبسالة والنبل . على انها ما كانت لتقتصر على هذا فقد كان لها نصيب وافر من العلم فقد روت عن النبي وحدثت كما في الاصابة.

فهلا تحذوها اوانس اليوم اللائي نسين واجباتهن وفرطن في كل شيء عدا زينتهن وترفهن

فلتأنس الشابات الكرائم بنسيبة ذلك العصر ، ولطيفة هذا الوقت ليقمن بما عليهن لهذا البلد الامين فينشئن له من فلذات اكبادهن رجالا اولي قوة ، شدادا صلابا ينقذونه مما هو فيه ؟

اسعد طلس

« ١ » السيرة لابن هشام ص ٥٧٣ طبع أوربا في فصل عنوانه « أم عمارة نسيبة الخ »

(٢) ص ٣١٢ طبع اوربا

التعليم العالى للنساء

للآنسة أسماء فهمى
درجة شرف فى الآداب

مازال التعليم العالى للنساء فى مصر وليدا فى المهد، ولم تهيأ اغلبية العقول بعد للاقلاع عن المبدأ القديم الذى يقول إن المرأة لم تخلق الا للدار وانجاب الاطفال ويكفيها لقضاء مهمتها الخاصة أقل قسط من التعليم . وتحت تأثير هذا الزعم كان قبول الفتيات بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٨ بطريق الاحتيال والتآمر كما ذكر أحد رجالات التعليم فى مصر فى حفلة تكريم أولى خريجات الجامعات بدار الاتحاد النسائى فى الشهر الماضى . والواقع ، مازال التعليم العالى للنساء فى بلادنا نبتا يخشى عليه من تقلبات الجو السياسى وزوابع الآراء الرجعية بالرغم من ان النساء فى البلاد الاوربية الراقية التى تحذو مصر حذوها فى كثير من نواحى حضارتها، قد حصلن على هذا الحق منذ أكثر من ثمانين عاما

ولما يخامر النفس من شكوك ومخاوف، على مستقبل التعليم العالى للمرأة المصرية، رأينا ان تأهب للدفاع ، بعرض قضية المرأة اليوم على بساط البحث بادئين ببيان الغرض من التعليم العالى ثم مايترتب عليه من النتائج بالنسبة للمرأة والمجتمع .

يمتاز التعليم العالى الصحيح الذى يتحرر فيه الطالب من كل القيود بكونه يهيء مجالا واسعا لتكوين الشخصية ولاظهار المواهب بما ان من اول شروطه البحث المستقل والاطلاع الواسع والاعتماد على النفس فى تكوين الآراء والوصول الى نتائج تدعمها الحجج القوية والبراهين . كما ان من مزايا هذا التعليم أيضا فيما لوسار على أسسه الصحيحة ، الاتصال بالمجتمع ودراسة أزماته وظواهره المختلفة من سياسية واقتصادية وتدريب النشء على اعمال الجماعات والقيادة بأن يشتركوا فى تكوين الجمعيات الصغيرة للبحوث والالعاب والاغراض المختلفة التى تنشأ فى ظل الجامعة . وبهذه الطريقة يعتادون العمل المشترك والتعاون وتضعف فيهم النزعات الانانية . وبذلك يصبحون اعضاء نافعين للجتمع والانسانية .

والمرأة احوج ماتكون الى مثل هذا التعليم الذى يتضمن كل هذه المزايا فلها عقل كعقل الرجل هو الفارق بينهما وبين الحيوانات غذاؤه الطبيعى العلوم ونموه وصقله فى استغلالها واستثمارها وبما ان المرأة- انسان فلا يصح ان تمنعها الامومة أو الحياة المنزلية من ان تستكمل اول مميزات الانسان

بان تستمتع بالتعليم العالى الوافى الطليق . . ثم إن المرأة فى حاجة أعظم من حاجة الرجل الى الناحية الاجتماعية من هذا التعليم فهى بسبب انزوائها الطويل فى عقر دارها وحرمانها من الاختلاط الحر وتناول الآراء قد عجزت عن تنمية الصفات الاجتماعيـــة فى نفسها . تلك الصفات التى يمتاز بها الرجل المثقف وهى الميل إلى الاعمال المشتركة، وسعة الصدر فى المناقشة والتفكير المتواصل الرصين ولو تحلت المرأة بتلك الصفات فوق ما تمتاز به من حنان ورقة لارتفع ولا شك مستوى المجتمع. ولهنأت الحياة المنزلية . وتلك الصفات يمهد السبيل لاكتسابها التعليم العالى أو الجامعى ، ففى أثناء هـــذا التعليم تختلط المرأة بأناس مختلفى الطبائع والنزعات، متنوعى الافكار والمذاهب، فيداوى ما بها من نقص ونظرة محدودة متأثرة بالمرغبات الشخصية الى الامور . . والواقع أن الحياة الاجتماعية فى الجامعة لا تقل أهمية عن الحياة العلمية بما أنها تعد الطلاب للحياة العملية الراقية ولذلك اهتمت بها كل الاهتمام الجامعات العريقة مثل اكسفورد وكمبردج اللتين أخرجتا للعالم مهرة الساســـة والمصلحين . . وقد يعترض معترض : وما شأن المرأة بهذه الامور وهى لا ينتظر أن تكون من الحكام أو الساسة الماهرين ؟ حقا إن المستقبل القريب لا يبشر بمثل هذا التقدم وان كنا لا نيأس من حصوله فى وقت ما ببلادنا أسوة بالبلاد الاخرى المتمدينة . ولكن الفتاة المصرية كما بينا تفتقر الى الصفات الاجتماعية وفوق ذلك تعدها الحياة الجامعية الصحيحة لان تقوم بنصيبها فى ميدان الاصلاح وليس هنالك من يجهل نواحى النقص الكثيرة فى بلادنا وقد جمع أحد مفكرى الأمريكان الغرض من التعليم العالى للجنسين فى قوله: « إن من يصرح بان الثقافة وتحرير المواهب الفردية هما غرض التعليم الاعلى، لا يذكر فى الواقع غير نصف الحقيقة فالتعليم يكون ناقصا مبتوراً اذا استمر منفصلا عن معالجة الشئون الاجتماعية، فهل بعـــد ذلك تحرم المرأة من التعليم العالى الذى ينمى مداركها ويجعلها أداة نافعة لاصلاح المجتمع خصوصا وأنها مطبوعة على التضحية، شديدة الحساسية، تؤثر فيها تأثيرا بليغا مظاهر الشكوى والألم ؟

تلك هى أغراض التعليم العالى ولم يبق الا أن نذكر شيئا عن بعض نتائجه التى يتخذها أنصار التردد والهزيمة حجة ضد التعليم العالى للنساء : فهم يقولون مثلا : أو ليس من نتائج التعليم العالى للفتيات اذا صدقت الأحصائيات أن أكثر من ٥٠ فى المائة من المتعلمات تعليما عاليا فى أوربا وامريكا يحجمن عن الزواج ويفضلن حياة الانتاج والكسب والاستقلال على الحياة المنزلية التى لا تهىء لهن الميدان الكافى لاستثمار معلوماتهن بالذات فيقل عـدد النسل ويضمحل اذ تترك تلك العملية الهامة لاغلبية من غير المتعلمات ؟ ثم الا تصبح أولئك المتمردات على الحياة البيتية عاملا خطراً من عوامل الأزمات الاقتصادية اذ ينافسن الرجال فى ميادين الاعمال فيزداد عدد العاطلين والمعوزين من الأسر ؟

إن مجرد النظر السطحى الى مثل هذه الاعتراضات يظهر المرأة بمظهر الخارج على القوانين الطبيعية العامل على فناء النوع الانسانى ومضاعفة أخطار الازمات الاقتصادية . ولكن الموضوع أخطر من أن نكتفى بالنظر السطحى اليه . لنسلم جدلا بأن أكثر من ٥٠ فى المائة من خريجات الجامعة يحجمن عن الزواج عندما يجدن لذة كافية فى الامور العلمية واستثمار تعليمهن العالى . ولكن تسليمنا بذلك ماهو الا تسليم بجانب من الحقيقة فقط ، ويجب أن نذكر انصافا للمرأة واقراراً للحق أن المرأة التى لا تتزوج تخدم المجتمع فى الغالب بطريق مباشر، طريق الانتاج العلمى والعملى واصلاح المساوىء الاجتماعية فعمل المرأة البيولوجى لا يصل وحده بالمجتمع الى الرقى والرخاء وانما الانسانية بحاجة الى مجهودها الموفق واستقلال مواهبها خارج المنزل كما هى بحاجة الى عملها الخاص داخله . أما مايقال عن نتاج من يتزوجن من المتعلمات تعليما عاليا وان كن الأقلية فهو أن العبرة بالنوع لا بالعدد، وبالكيف لا بالكم . فلو لم تتعلم النساء هذا التعليم لكنا حقا اكتسبنا زيادة فى عدد الاطفال، ولكننا من ناحية أخرى كنا نفقد الاضافة الى الانتاج العقلى والثروة المعنوية، والاطفال الممتازين الذين لا ينجبهم غير الامهات المتعلمات تعليما عاليا

اما المشكلة الاخرى وهى زيادة مزاحمة المرأة للرجل فيما لو تعلمت تعليما عاليا فيكفى ان نقول لهدم هذا الاعتراض انه ناتج عن انانية الرجل فلو لم يكن الرجل انانيا حقا لما عمل على تضحية المزايا المعنوية التى تترتب على تعليم المرأة تعليما عاليا فى سبيل الاستئثار بالمزايا المادية بابعاد المرأة عن ميدان العمل بل هو قد يقدم على أكثر من ذلك فيعمل على ان يحرمها متعة التعليم العالى واللذة الروحية حتى يضمن عدم منافستها المادية فى أحد الايام . إن مثل هذا الاعتراض لا يتفق مع شهامة الرجولة ولا مع اقدام الرجل

الشافعى واضع علم أصول الفقه

للأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق
أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٧ —

١ — الدراسات الفقهية الى عهد الشافعى . ب — أهل الرأي وأهل الحديث
ج — الشافعى بين أهل الرأي وأهل الحديث وآثاره وكتبه
د — وضع الشافعى علم أصول الفقه

ومذهب الشافعى الجديد وصل إلينا فيما ألفه بمصر من الكتب وقد سرد البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ — ١٠٦٥ - ١٠٦٦ م كتب الشافعى ولخصها عنه ابن حجر فى ص ٧٨

(الرسالة القديمة ، ثم الجديدة - اختلاف الحديث ، جماع العلم — إبطال الاستحسان — أحكام القرآن — بيان الفرض — صفة الأمر والنهى — اختلاف مالك والشافعى - اختلاف العراقيين — اختلافه مع محمد بن الحسن — كتاب على وعبد الله — فضائل قريش — كتاب الأم — . . .

وعدة كتب الأم : مائة ونيف وأربعون كتابا وحمل عنه حرملة كتابا كبيراً يسمى « كتاب السنن » وحمل عنه المزنى كتابه « المبسوط » وهو المختصر الكبير والمنثورات وكذا المختصر — المشهور — قال البيهقى : وبعض كتبه الجديدة لم يعد تصنيفها وهى : الصيام — والصداق — والحدود — والرهن الصغير — والاجارة - والجنائز - فانه أمر بقراءة هذه الكتب عليه فى الجديد وأمر بتحريق ما يغاير اجتهاده قال : وربما تركه اكتفاء بما نبه عليه من رجوعه عنه فى مواضع أخرى

قلت : وهذه الحكاية مفيدة ترفع كثيراً من الاشكال الواقع بسبب مسائل اشتهر عن الشافعى الرجوع عنها وهى موجودة فى بعض هذه الكتب .

ثم نقل ابن حجر : أن لأصحاب الشافعى من أهل الحجاز والعراق عنه مسائل وزيادات قال: وهذا يدل على أن (كتباً أخرى حملها عنه هؤلاء لأن هذه المسائل ليست فى الكتب المقدم ذكرها)

وقد ترك ابن حجر فى تلخيصه : كتاب « مسند الشافعى » ولا ندرى : ان كان البيهقى قد تركه أيضا أم لا ؟ ويقول الرازى (ان كتابه المسمى « بمسند الشافعى » كتاب مشهور فى الدنيا ، ص ١٤٦)

كان اتجاه المذاهب الفقهية قبل الشافعى الى جمع المسائل وترتيبها وردها إلى أدلتها التفصيلية عند ما تكون دلائلها نصوصا وأهل الحديث لكثرة اعتمادهم على النص كانوا أكثر تعرضاً لذكر الدلائل من أهل الرأى

فلما جاء الشافعى بمذهبه الجديد كان قد درس المذهبين ولاحظ ما فيهما من نقص بدا له أن يكمله وأخذ ينقض بعض التفريعات من ناحية خروجها عن متابعة نظام متحد فى طريقة الاستنباط

وذلك يشعر باتجاهه فى الفقه اتجاها جديداً هو اتجاه العقل العلمى الذى لا يعنى بالجزئيات والفروع

ويدل على أن اتجاه الشافعى لم يكن الى تمحيص الفروع : ما نقله ابن عبد البر فى « الانتقاء » من : أن احمد بن حنبل قال : « قال الشافعى لنا : أما أنتم فاعلم بالحديث والرجال منى فاذا كان الحديث صحيحا فاعلمونى أن يكون كوفيا ، أو بصريا أو شاميا ، أذهب اليه اذا كان صحيحا » ص ٧٥

وطريقة علاجه لمسائل العلم تدل على منهجه قال أبو محمد بن اخت الشافعى عن أمه قالت : ربما قدمنا فى ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح بين يدى الشافعى ، وكان يستلقى ويتذكر ثم ينادى ياجارية هلمى مصباحا فتقدمه ويكتب ما يكتب ثم يقول : ارفعيه ، فقيل لأحمد : ما أراد برد المصباح ؟ قال : الظلمة أجلى للقلب . مفتاح السعادة ج ٢ ص ٩١

وليس هذا النوع من التفكير الهادىء فى ظلمة الليل تفكير من يهتم بالمسائل الجزئية والتفاريع

بل يعنى بضبط الاستدلالات التفصيلية باصول تجمعها ، وذلك: هو النظر الفلسفى

قال ابن سينا فى الشفاء « انا لا نشتغل بالنظر فى الجزئيات

وبالاجمال تبدو اعتراضات المتخوفين من تعليم النساء تعليما عاليا واهية لانها تنافى اصول المنطق والعدل والشهامة وما هى فى صميمها إلا نتيجة للانانية او الازمات الاقتصادية التى تجعل الناس يفتشون عن المرأة دائما شأنهم فى كل شيء فيعملون على ارجاعها الى عقر الدار ناسين أو متناسين ما طرأ على العالم من تطورات فكرية واجتماعية واقتصادية خطيرة غيرت من وظيفة المرأة فجعلتها لا تقتصر على المنزل وتربية الاطفال وانما تشمل أيضا استخدام مواهبها خارج الدار او فى قلب المجتمع وذلك هو العهد الجديد. والتعليم العالى هو الذى يهىء المرأة لهذا العهد الذى اصبح امرا واقعا فيجب ان نعترف به مختارين أو مرغمين

اسماء فهمى

لكونها لا تتناهى وأحوالها لا تثبت وليس علينا بها من حيث هى جزئية تفيدنا كالا حكميا أو تبلغنا غاية حكمية ، بل الذى يهمنا هو النظر فى الكليات ،

وكان احمد يقول : الشافعى فيلسوف فى أربعة أشياء : فى اللغة — واختلاف الناس — والمعانى — والفقه (الرازى ص ٣٥)

وقد حاول الشافعى : أن يجمع أصول الاستنباط الفقهى وقواعدها علما ممتازا وأن يجعل الفقه تطبيقا لقواعد هذا العلم

وبهذا يمتاز مذهب الشافعى من مذهب أهل العراق وأهل الحجاز

د — وضع الشافعى لعلم أصول الفقه

اذا كان الشافعى هو أول من وجه الدراسات الفقهية الى ناحية علمية فهو أيضا : أول من وضع مصنفا فى العلوم الدينية الاسلامية على منهج علمى بتصنيفه فى أصول الفقه ، قال الرازى : اتفق الناس على : أن أول من صنف فى هذا العلم - أى علم أصول الفقه - الشافعى وهو الذى رتب ابوابه وميز بعض أقسامه من بعض وشرح مراتبها فى القوة والضعف

وروى : أن عبد الرحمن بن مهدى التمس من الشافعى وهو شاب أن يضع له كتابا يذكر فيه : شرائط الاستدلال بالقرآن والسنة ، والاجماع ، والقياس ، وبيان الناسخ والمنسوخ ومراتب العموم والخصوص ، فوضع الشافعى رضى الله عنه « الرسالة » وبعثها اليه

فلما قرأها عبد الرحمن بن مهدى قال : ماأظن أن الله عز وجل خلق مثل هذا الرجل ثم قال الرازى : واعلم : أن نسبة الشافعى الى علم الاصول كنسبة « أرسطاليس » الى علم « المنطق » ، وكنسبة « الخليل » بن أحمد الى علم « العروض » ،

وذلك لأن الناس كانوا قبل « أرسطاليس » يستدلون ويعترضون بمجرد طباعهم السليمة لكن ما كان عندهم قانون مخلص فى كيفية ترتيب الحدود والبراهين

فلاجرم . كانت كلماتهم مشوشة ومضطربة فأن مجرد الطبع إذا لم يستعن بالقانون الكلى ،قلما أفلح . فلما رأى « ارسطاليس » ذلك اعتزل عن الناس مدة مديدة واستخرج علم « المنطق » ، ووضع للخلق بسببه قانونا كليا يرجع اليه فى معرفة الحدود والبراهين

وكذلك الشعراء كانوا قبل الخليل بن احمد ، ينظمون أشعارا وكان اعتمادهم على مجرد الطبع فاستخرج « الخليل » علم « العروض » ، فكان ذلك قانونا كليا فى معرفة مصالح الشعر ومفاسده فكذلك هنا الناس كانوا قبل الامام الشافعى يتكلمون فى مسائل « أصول الفقه ، ويستدلون ، ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلى مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة وفى كيفية معارضتها ، وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعى علم « اصول الفقه » ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع اليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع .. ثم يقول الرازى : واعلم ان الشافعى صنف كتاب « الرسالة » ببغداد ولما رجع الى مصر أعاد تصنيف كتاب « الرسالة » ، وفى كل واحد منهما : علم كثير ص ٩٨ - ١٠٢

ويقول « بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى » المتوفى سنة ٧٩٤هـ ١٣٩١ - ١٣٩٢ م فى كتابه فى أصول الفقه المسمى بالبحر المحيط « فصـــل » : الشافعى أول من صنف فى « أصول الفقه » صنف فيه كتاب « الرسالة » ، وكتاب احكام القرآن واختلاف الحديث وأبطال الاستحسان وكتاب « جماع العلم » - كتاب القياس - الذى ذكر فيه ؛ تضليل المعتزله ورجوعه عن قبول شهادتهم

ثم تبعه المصنفون فى علم الاصول ، قال احمد بن حنبل « لم نكن نعرف الخصوص والعموم حتى ورد الشافعى ،

وقال الجوينى فى شرح الرسالة : لم يسبق الشافعى أحد فى تصانيف « الاصول » ومعرفتها ، وقد حكى عن ابن عباس « تخصيص عموم » وعن بعضهم « القول بالمفهوم » ومن بعدهم لم يقل فى الاصول شىء ولم يكن لهم فيه قدم فانا رأينا كتب السلف من التابعين وتابعى التابعين وغيرهم فما رأيناهم صنفوا فيه «من نسخة خطية بالمكتبة الاهلية بباريس ،

ويقول ابن خلدون فى المقدمة : « وكان أول من كتب فيه أى فى « علم أصول الفقه » الشافعى رضى الله عنه أملى فيه « رسالته المشهورة » تكلم فيها فى : الأوامر والنواهى ، والبيان ، والخبر ، والنسخ ، وحكم العلة المنصوصة ، من القياس

ثم كتب « فقهاء الحنفية » فيه ، وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها ، وكتب المتكلمون أيضاً » ص ٣٩٧

وفى كتاب « طبقات الفقهاء » للقاضى شمس الدين العثمانى الصفدى : وابتكر الشافعى مالم يسبق اليه من ذلك : « أصول الفقه » فانه أول من صنف « أصول الفقه » بلاخلاف

ومن ذلك : « كتاب القسامة - وكتاب الجزية - وكتاب قتال أهل البغى ، من نسخة خطية بدار الكتب الاهلية بباريس

ويقول صاحب كتاب « كشف الظنون » : وأول من صنف فيه « الامام الشافعى ، ذكره الأسنوى فى التمهيد وحكى الاجماع فيه ص ٣٣٤

والباحثون فى هذا الشأن من الغربيين يرون فى « الشافعى » واضعا « لأصول الفقه ، يقول (جولد زيهر) فى مقالته فى كلمة (فقه) فى دائرة المعارف الاسلامية : « واظهر مزايا « محمد بن ادريس الشافعى » : انه وضع نظام الاستنباط الشرعى من أصول الفقه

وحدد مجال كل أصل من هذه الاصول وقد ابتدع فى (رسالته) نظاما للقياس العقلى الذى ينبغى الرجوع إليه فى التشريع من غير اخلال بما للكتاب والسنة من الشأن المقدم ريث الاستنباط من هذه الاصول ووضع القواعد لاستعمالها بعد ما كان جزافا .

على أنا نجد فى كتاب الفهرست فى ترجمة (محمد بن الحسن) ذكر كتاب له يسمى (كتاب أصول الفقه)

ويقول الموفق المكى فى كتابه (مناقب الأمام الأعظم) نقلا عن طلحة بن محمد بن جعفر ؛ أن أبا يوسف اول من وضع الكتب فى « أصول الفقه » على مذهب أبى حنيفة ج ٢ ص ٢٤٥ ونقل ذلك طاش كبرى زاده فى كتابه «مفتاح السعادة» ج٢ ص ١٠٢

ولم يرد كتاب فى هذا العلم فيما أورده صاحب « الفهرست » لأبى يوسف من الكتب واذا صح أن لأبى يوسف أو لمحمد كتابا فى أصول الفقه فهو فيما يظهر كتاب لنصرة ما كان يأخذ به أبو حنيفة ويعيبه أهل الحديث من الاستحسان

وقد يؤيد ذلك ، أن صاحب « الفهرست » ذكر فى أسماء كتب أبى يوسف . كتاب الجوامع ألفه ليحيى ابن خالد يحتوى على أربعين كتابا ، ذكر فيه اختلاف الناس والرأى المأخوذ به ولم يكن فى طبيعة مذهب أهل الرأى الذين كان من همهم أن يجمعوا المسائل ويستكثروا منها ، النزوع الى تقييد الاستنباط بقواعد لا تترك متسعا رحبا

على أن القول بأن أبا يوسف هو أول من تكلم فى (أصول الفقه) على مذهب أبى حنيفة لا يعارض القول بأن الشافعى هو الذى وضع (أصول الفقه) علما ذا قواعد عامة يرجع اليها كل مستنبط لحكم شرعى

وقد لا يكون بعيدا عن غرض « الشافعى » فى وضع « أصول الفقه » : أن يقرب الشقة بين أهل الرأى وأهل الحديث ويمهد للوحدة التى دعا اليها الاسلام

صفى الدين الحلى

— ٣ —

(تتمة)

كانت مصر إذ رحل اليها الشاعر فى عهد زاهر مثمر من أكثر نواحى الحياة ، فهبط اليها كما يهبط الطائر الصادى على الروض الندى اليانع ؛ ينهل من موارده فى شوق ويتنقل على دوحاته فى طرب ، ثم ينثنى عنه وقد ارتوى الى وطنه شاديا مترنما !

فقد أصبحت بعد ان ثل المغول عرش بنى العباس وأسدلوا على بغداد الستار ، مركز الثقافة الاسلامية الأكبر وموئلها الحصين ، تنهض فيها جامعة الازهر والمدارس الأخرى حولها بأعباء الرسالة العظمى للعلم والأدب ، وتشترك سلاطينها بأيد عاملة نشيطة فى تعضيد هذه الحركة وتغذية روحها بعوامل القوة ؛ بما تحدثه من المدارس وما تغدقه فى كرم على العلماء والادباء من هبات وصلات

وكان عصر السلطان الناصر بن قلاوون من خير عهود دولة السلاطين الأولى ؛ إذ كان السلطان نفسه ـ كما يقول السير وليم موير ـ ، مثقفاً ثقافة عالية ، درس علوم الفقه والقانون ونال شهادة فيها فكان يحب العلم والعلماء ويشاركهم فى كل أمر يفيضون فيه ، وكثيرا ما يكون الملوك المثقفون نعمة على رسل الثقافة لما يملكون من حسن التقدير لأعمالهم ، وصدق الشعور بحلاوة ثمراتهم ؛ وقد روى عنه أنه أقطع أبا الفداء المؤرخ الشهير ولاية حماة تقديرا لمكانه وجزاء لما قدمه اليه من معونة فى بعض الحروب . وفى عهده كانت مصر تنعم بشىء من راحة الظافر بعد أن شلت حركات المغول وأنقذت الشرق العربى من بين براثنهم المسمومة ؛ وبعد أن طاردت حملة الصليب المستكلبين فى هدم الاسلام والشرق ، وقذفت بهم فى قوة الى البحر ! ولكنها مع ذلك لم تكن تغفو عن حراسة هذا الملك وقطع أذناب العدو كلما امتدت اليه ، وهو ملك شاسع مترام يمتد ما بين الفرات والحجاز وآسيا الصغرى وجنوب النوبة ، ولما كانت إذ ذاك لا تزال طريق التجارة والرحلة بين أوربا والشرق قبل أن يكتشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وعرفت مصر كيف تستغل هذا المورد الثرى أحسن استغلال ، وكانت تجبى اليها ثمرات تلك «العاهلية» الكبرى ، فقد حازت من المجد المالى ما يمكنها من مواصلة السير فى طريق مجدها العلمى والحربى .

لذلك لا نعجب أن نرى القاهرة حينذاك تموج بوفود رجال العلم والأدب فتحسن وفادتهم ، وأن نسمع صفى الدين وقد أقبل إليها فانتظم زمنا فى حاشية الملك الناصر يصوغ آيات المدح لمصر ومليكها ، ويعود إلى وطنه فيلهج بأجمل الذكريات لما لقى فيها من روعة الكرم وحسن الضيافة . وقد اتصل أثناء أقامته فى مصر بحلقاتها الأدبية التى كان يمثل زعامتها الكتابية (علاء الدين بن الأثير) رئيس ديوان الانشاء ، وزعامتها الشعرية ، جمال الدين بن نباتة ، الأديب الشهير ، وتوثقت بينهم جميعا روابط الصداقة والاخلاص ، فلم يفتأ بعد رحيله يتراسل معهم فى مساجلات أدبية ممتعة تعبر عن عواطف الشوق ويعترف فى احداها بزعامة ابن نباتة لجميع الشعراء .

والآن نستعرض إحدى قصائده التى تجمع بعض هذه الأمور ، وقد قالها يوم احتفال مصر بيوم الخليج وابتدأها بوصف الربيع فى مصر :

خلع الربيع على غصون البان	حللا فواضلها على الكثبان
وتتوجت هام الغصون وضرجت	خد الرياض شقائق النعمان
وتنوعت بسط الرياض فزهرها	متباين الأشكال والألوان
والظل يسرق فى الخمائل خطوه	والغصن يخطر خطرة النشوان
وكأنما الاغصان سوق رواقص	قد قيدت بسلاسل الريحان

واستمر هكذا فى أوصافه الجميلة التى يعبر بها عما أودعته طبيعة مصر الفاتنة فى نفسه حتى قال :

إنى وقد صفت المياه وزخرفت	جنات مصر وأشرق الهرمان؟
واخضر واديها وحدق زهره	والنيل فيه ككوثر بجنان
وبه الجوارى المنشآت كأنها	أعلام بيد أو فروع قنان
نهضت بأجنحة القلوع كأنها	عند المسير تهم بالطيران
والماء يسرع فى التدفق كلما	عجلت عليه يد النسيم الوانى

وأخذ بعد ذلك يصف السلطان بالقوة والفصاحة والسيادة على جميع الملوك ، وليس الملوك فى الحقيقة إلا مظاهر للأمم من أكثر الوجوه ، فاذا كانوا أقوياء أو كرماء فما ذلك إلا فيض أممهم ومنحة رعاياهم ، وإذن فكل مدح للملك إنما يتجه الى الأمة التى أكسبته أسباب المدح ووهبته مايتيه به من أثواب المجد . ونود أن نشير هنا الى أن مصر لم تكن تنظر الى سلاطينها الذين كانوا فى الأصل مماليك إلا بعين التجلة ؛ لأنها كانت إذ ذاك تفهم معنى الوطنية كما يقرره الاسلام ، دينها الذى تعتز به ، وهو دين ديمقراطى حر يأمر أهله ألا يأنفوا من الحاكم المسلم العادل ولو كان عبداً حبشياً . وكذلك لم يكن هؤلاء السلاطين فى نظر مصر إلا جنداً مسلمين تربوا فى أرضها ودافعوا طويلا عن مجدها ثم ارتقوا باستيلائهم على شؤونها الحربية الى عرش الملك ، فرضيت بهم وعهدت اليهم بتمثيل قوتها فى السياسة والعلم والحرب ، فمثلوها أحسن تمثيل ، ثم لما فرغ دورهم أرخت عليهم السدول وبقيت مصر هى مصر الخالدة .

ومما قاله صفى الدين فى أحدهم وهو الناصر المذكور :

لا عيب فى نعماه إلا أنها	يسلو الغريب بها عن الأوطان
شاهدته فشهدت لقمان الحجا	ونظرت كسرى العدل فى الايوان
وشهدت منه فصاحة وسماحة	أعدى بفيضهما يدى ولسانى
ملك اذا اكتحل الملوك بنوره	خروا لهيبته إلى الأذقان

وقال :

أبقى قلاوون النخار لولده	إرثا وفازوا بالثناء مكاسبا
قوم إذا سئموا الصوافن صيروا	للمجد اخطار الأمور مراكبا
عشقوا الحروب تيمنا بلقا العدا	فكأنهم حسبوا العداة حبائبا
وكأنما ظنوا السيوف سوالفا	واللدن قدا والقسى حواجبا
يا أيها الملك العزيز ومن له	شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصلحت بين المسلمين بهمة	تذر الاجانب بالوداد أقاربا
وحرست ملكك من رجيم مارد	بعزائم إن صلن كن قواضبا

* * *

كان لصفى الدين قدرة فائقة فى رسم المناظر الاخاذة بدقة الفنى وتأثر الشاعر ، وذلك لما وهبه من ميزتين عظيمتين : إحداهما دقة النظر وصدق المشاهدة ، والأخرى قوة الابتكار والتخيل . فقد كان يدرك بالأولى جزئيات الامور ونواحى المناظر التى تخفى على غير الموهوب ، ثم يتولى خياله ما أدركه فيحكم نسجه ويضفى عليه ألوانه ، ويزيد فوقه نقوشه ، فاذا بوصفه قطعة فنية رائعة تثير الاعجاب .

قام الشاعر برحلات عدة كما ذكرنا قبـــل، فى صحارى العرب والشام ومصر، وانتظم أزمنة طويلة فى حواشى الملوك الذين كان لهم غرام وشغف بالنزه الخلوية فى أودية حماة والحلة وماردين فكان ذلك داعيا لشدة قربه من الطبيعة ومذكيا حبه لها، ولما كان بفطرته يملك نفسا شاعرة فقد استجاب دعوة الجمال وأخذ يرصد الطيور حائمة فى الجو، والوحوش هائمة فى الصحراء، والحيوان الأليف والسائم ينقش صورها جميعا فى شعره نقش المصور الماهر، وفى ديوانه أمثلة كثيرة لكل هذه الأوصاف.

ومن مظاهر أوصافه الدقيقة أيضا وصفه للخمر ومجالس الندامى، فان الصفى كان رجلا طروبا متهافتا على موارد اللهو والسرور، يشرب من لذائذه الكؤوس الدهاق: يعاقر الخمر ويعشق النساء والولدان ويختال بين الرياض، ويتجول فى الصحراء؛ غير آبه لما حرم من اللذة أو حل، وذلك لأنه اتخذ لنفسه مذهبا خاصا فى فهم أحكام الدين يطاوع هواه كل المطاوعة، وقد عبر عن هذا المذهب بقوله:

فارتكب أجمل الذنوب لنفع ... واعتقد فى ارتكابه التحريما
ثم تب وأسأل الاله تجـــده ... لذنوب الورى غفورا رحيما!

وتمادى فى هذا المذهب حتى أحل الخمر صراحة فقال:

نهى الله عن شرب المدام لأنها ... محرمة إلا على من له علم
وذاك بقدر الشاربين وعقلهم ... فنى معشر حل وفى معشر حرم
ولو شاء تحريما على كل معشر ... لقال رسول الله لا يغرس الكرم!

ولو صدق هذا المنطق المموه لكان العلم رخصة مؤذنة لأهله أن يرتكبوا كل لذة أثيمة، ولأنه قد مارسها فعلا واغتبق من كؤوسها واصطبح، عرف كيف يتغزل فى محاسنها ويصف آثارها بمهارة تشهد له بالقدرة الفنية. ومما قاله:

سلاف تميت العقل فى حال شربها ... وتنعش منها الروح والجسم والقلبا
محجبة وسط الدنان ونورها ... يمزق من لألاء غرتها الحجبا
اذا مسها وقع المزاج تألمت ... وأزبد منها الثغر وامتلأت رعبا
وأعجب من بكر لهـا الماء والد ... وترجع أنى رام تقبيلها غضبى
هى الشمس إلا أنها فى شروقها ... اذا مزجت فى كأسها أطلعت شهبا
يعض عليها التائبون بنانهم ... ويندب كل منهم عقله ندبا

وعلى كل فلا يتردد المرء بعد أن يقرأ أوصاف الحلى أن يحكم له بأن مرتبته فى الصف الأول من شعراء الوصف فى الأدب العربى أما الغزل فقد كبا فيه جواده وخانه ذكاؤه إذ العقل لا يغنى وحده فى هذا الميدان، وإنما مرد الامر إلى القلب الخفاق والعاطفة المشبوبة، وشاعرنا لم يكن من فئة المحبين الذين يؤمنون باتصال الوجدان ويظلون فى نجواهم باكين من هول الذكرى وألم الهجر وانما كان رجلا حسيا يعترف حقا باللذائذ المادية ليس غير.

لهذا كان غزله قسمين متباينين، أولهما الغزل النسائى المألوف، والثانى غزل الولدان أو ما يسمونه بالغزل المذكر، ونأسف إذ نقول إن النوع الثانى كان أرق وأصفى وأدل على الصدق من الأول، ولكننا لا ندهش كثيرا إذا ذكرنا مبادئه الخلقية التى وصفناها قبل؛ ويلوح لنا ان هذا الانحلال الخلقى لم يكن قاصرا عليه وحده وإنما كان ظاهرة عامة للولاة والأمراء الذين يستقلون فى اطراف المملكة ببعض المناطق؛ لان وفرة المال وتحقق أسباب النعيم مع قلة الشواغل الادارية، كانت تغريهم بالعكوف على الملاهى والتمادى فى الاباحة. أما غزله الأول ففيه جفاف وتكلف وترى عليه سمات التقليد واضحة ومما قاله فى مذهبه:

خليانى من فترة النسوان ... وانعشانى بنشطة الغلمان!
ليس يصبو لربة الخال قلبى ... بل برب الاقراط جن جنانى!

***

تلك هى الاغراض البارزة التى تستحق الدراسة فى شعر صفى الدين، أما الاغراض الاخرى فهى لا تخرج عن السبل التى طرقتها إخوتها، وجملة القول فيها أن الزهد والالغاز ليسا الا مثلين من التقليد والتكلف، لأن الرجل كما عرفنا كان متهتكا مسرفا، وإنما أراد أن يعارض قصائد ابن الفارض وأمثاله من المتصوفة المخلصين، ولأن نوع الالغاز أبعد ما يكون عن معنى الشعر. وهو، وإن أجاد فى الرثاء حقا، وأبدع فى تصوير فجائع الموت!، نستطيع أن ندرك إجادته فيما درسنا من مدحـــه، لأن معناهما واحد وإن اختلفا فى مناسبة كل منهما مع الحياة أو الموت. غير أنه أتى فى باب الحكمة بكثير من التجارب الصادقة التى يعززها العقل والواقع وأكثر ما تدور حول الصداقة وآداب الاجتماع، فلم يبق إذن غير المجون وهى ما نستميح القارىء أن يعفينا منه صونا لحياء القلم وحرصا على وقار «الرسالة»

(وبعد) فهذه شخصية كبيرة تجمع بين الوسامة والدمامة، ولكنها فى جملتها جديرة بالخلود، على انها آية بينة تقرر ان الأدب العربى قد ظل بعد موت بغداد يتنسم الحياة قويا ناضرا؟

دار العلوم ... ضياء الريس

مِنْ طرائفُ الشِّعرُ

النشـــيد !

للشاعر الوجدانى على محمود طه

عندما ظلّلنى الوادى مساء   كان طيفٌ فى الدجى يجلس قربى
فى يديه زهرةٌ تقطر ماء   سمِعَتْ أذنى بها أنّاتِ قلبى !

قلتُ من أنتَ ؟ فلبانى مُجيباً   نحن يا صاحِ غريبانِ هنا !
قدنزلتُ السهلَ والليلَ الرهيبا   حيث ترعانى وأرعاك أنا ! !

قلت ياطيفُ أثرت النفس شكا   كيف أقبلت وقل لى من دعا كا ؟
قال أشفقتُ من الليل عليكا   فتتبعتُ الى الوادى خطا كا !

ودنا منى وغنّانى النشـــيدا
فعرفت الصوت واللحن الشجيا
هو حبٌّ هام فى الليلِ شريداً   مثلما همتُ لنلقاك سويًّا !

وتعانقنا وأجهشنا أنيناً   وانطلقنا فى حديثٍ وشجونْ
ودَنا الموعدُ فاهتجنا حنيناً   وتنظرناكَ والليـــلُ عيونْ

أقبَلَ الليلُ فأقبلْ موهنا   والتمس مجلسَنَا تحت الظلالِ
وافِنى نصدحْ بألحان المنى   ونعبَّ الكأس من خمر الخيال

أقبلِ الليلةَ وانظرْ واسمعِ   كلُّ مافى الكونِ يشدو بمزاركْ
جئتُ بالاحلام والذكرى معى
وجلسنا فى الدجى رهن انتظاركْ

سترى ياحسنُ ما أعددتُه   لكَ من ذخرٍ وحسنٍ ومتاعْ
هو قلبى فى الهوى ذوبتُه   لكَ فى رفّاف لحنٍ وشعاعْ

وهو شعرٌ صوّرَتْ ألوانه   بهجةَ الفجر وأحزانَ الشفقْ
ونشـــيدٌ مَثّلَت ألحانُه   همساتِ النّجم فى أذن الغَسق

ذاك قلبى عارياً بين يديكْ   أخذته منك روعاتُ الالـه
فتأمله دماً فى راحتيـــكْ   وذَماء منكَ يستوحى الحياه

باكىَ الاحلامِ محزونَ المنى   ضاحكَ الآلام بسّامَ الجراحْ
لم يكنْ إلاّ تقيًّا مؤمناً   بالذى أغرى بحبيكَ الطماحْ

يتمنى فيـــكَ لو يفنى كما   يتفانى الغيمُ فى البحر العُبابْ
أو يلاشى فيك حياً مثلما   يتلاشى فى الضحى ومض الشهاب

زهرةٌ أطلعها فردوسُ حبكْ   استمدت نورَها من ناظريكْ
خفقتْ أوراقُها فى ظلّ قربك   وسرتْ أنفاسُها من شفتيكْ

هى من حسنكَ تحيا وتمونْ   فارحمها ياحسنُ إعصارَ المنونْ
أوْلِها الدفء من الصدر الحنونْ   أوفها النورَ من هذى العيونْ

دمعُها الانداءُ والعطرُ الشّجا   وصدى أنّاتِها همسُ النسيمْ
فاحبُها منكَ الربيعَ المرتجى   تصدح الايامُ باللحن الرخيمْ

لو امكنتنى فرصة !

ريان من ماء الحياة   وسرها فى وجـنتيه
كالجدول المفتون فى   وشـى الرياض انيه
غـنّى بلحن مسكر   وبـلابل الوادى لديه
لا يرتوى منه الظمـا   ولا ترى طـيراً عليـه
ومن العجائب أن ترى   ناراً تشـب بوجنتيـه
فتثـير نـيراناً بقلـ   ـبى كلمـا أدنو اليـه
لو امكنتنى فرصـة   اطفـأتها من شـفتيه

شرق الاردن   حسني فرير

ابليس

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

أسرفتَ يا إبليس فى الوسواس
فأعوذ منك برب هـذا الناس
أغويتني من بعد ما استدرجتني
مستحوذاً حتى على انفاسى
حسّنتَ فى عينى الشرورَ فجئتها
وضممتُ أرجاساً على أرجاس
ونفذتَ فى أعماق قلبى فاتحا
حتى ملكتَ منافذَ الاحساس
فتعاورتني للشكوك وساوس
سودٌ وعافت مجلسى جُلاّسى
أفرغتَ قلبى من رضىً يقينه
وملأت بالشكّ المبرّح راسى
من بعد ماجرّعتنى مرّ الاسى
أترعتَ بالمصل المخدّر كاسى
إبليسُ ما أشركتنى فى صفقة
إلاّ قضيتَ علىّ بالافلاس
ابليسُ أنت ولىُّ كلّ ذوى الهوى
ابليس انك فى الولاية قاس
لم يبق مما كان لى قبلاً سوى
ثوبٍ كخائبة المُنَى أدراس
تُلقِى العداوةَ موغراً بين الورى
فتثير أجناساً على أجناس
ولو اعتقدتَ بهم شعوراً فى الردى
لتبعتَهم تغوى الى الارماس
تذكى الحروبَ وأنت فيها سالمٌ
مما يضرّ بأنفس الأحلاس
أتعستَ أقواماً لتسعد غيرَهم
والشرّ كل الشرّ فى الاتعاس
كوخٌ حقير ثم قصرٌ شاهقٌ
ومآتمٌ فى جانب الاعراس
لا تستريح وأنت عنهم فى غنًى
حتى توسوس فى صدور الناس
مالى سوى دمعٍ يفيض ندامةً
ما سوف أكتبه على القرطاس

ذكريات فى الجزيرة

للاستاذ الحاج محمد الهراوى

لى فى الجزيرة ذكريات كلما   خطرت تهز من الحنين فؤادى
فلقد لبست الغيّ فى شرخ الصبا   ومضيت طوع مراده ومرادى
وشربت من كأس الهوى وأبحته   وعصيت فيه رويتى وسدادى
أيام أنعم بالشباب وبالمنى   ولقاء من أهوى على ميعاد
نلهو ونمرح ، والهوى ما بيننا   نجوى يراوح بيننا ويغادى
تتحدث العينان فى لحظيهما   عما يحز الشوق فى الأكباد
متجاذبين ما حديث صبابة   ولذيذ وصل بعد طول بعاد
متبادلين على الشراب ونقله   قبلات شوق فى عناق وداد
فوق الغدير وبين أزهار الربى   فى ظل غصن الدوحة المياد
نخشى النسيم تمشى بنا خطراته   إن مر بالعذال والحساد
مستأثرين نغار من عبث الصبا   ونخاف جائحة الزمان العادى
متعانقين نهيم فى وادى الكرى   متيقظين على الحمام الشادى
متساقيين من الرضاب ، وإنه   خمر الهوى فى غيه المتمادى
تمضى بنا الساعات لا ندرى لها   كيف انقضت فى يقظة ورقاد
فدع الهوى العذرى بعد زمانه   ما مر من زمن فغير معاد
جمح الشباب وماثنيت عنانه   وجرى ، وما من وازع او هاد
فاذا الغواية موبقات كلها   تأتى على الارواح والاجساد
فغسلت بالحج المبارك حوبتى   ورجعت حين رجعت فى الزهاد
ولقد مررت على الجزيرة لا كما   عهدته فى غى مع الوراد
فاذا بها وكأنها حجت معى   أو أننا عدنا معا لرشاد

بين الموسيقى الشرقية والغربية

— ١ —

تقوم الآن حركة طيبة فى الأوساط الموسيقية ، غايتها النهوض بالموسيقى الشرقية الى المستوى الذى يليق بها كفن له آدابه وأوضاعه وأصـــوله . وكان طبيعيا أن تتشعب الآراء ، وتتنوع الأفكار ، والمدار هو الكيفية التى بها ترتفع الموسيقى الشرقية الى مكانتها . وسمعنا أثناء ذلك اسم الموسيقى الغربية تلوكه الألسن وتتجه اليه الأفكار كأنه الغاية التى اليها تتجه ، والمستوى الذى اليه ترتفع ، غير أن هناك ألسناً لم تنطق به وأنظاراً لم تتجه اليه ، بل بقيت رابضة فى وكرها لا تحيد عنه . وبين هذه وتلك تقف الفكرة الأساسية مترددة محجمة ، وإن سارت فهى خطى بطيئة متمهلة .

وقد رأيت أن أجمل فى نقط بسيطة غير مركبة ، أهم الاختلافات التى بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ، وذلك بأن أضع أمام القراء صورة حقيقية للأصل الذى أتكلم عنه ، وأن أقسم تلك الفوارق التى بينهما تقسيما منظماً صحيحا لتكون أمام من يطلع عليها صورة مرتبة غير مشوشة ، مع اختصارى قدر ما أصل اليه .

فمن رأى هذه الكلمة خلوا من الافاضة والشرح فليعذرنا فلسنا نكتب كتاباً ليحفظ ويكون حجة ومرجعا ، وانما هو مقال يجمع بين الفائدة والترويح ، وعلينا العهد عند ما نريد أن نكتب كتابا أن نراعى الدقة جهدنا وأن نختصر فيه أو نجمل .

تنقسم الفروق بين الموسيقى الشرقى والموسيقى الغربية الى ناحيتين رئيسيتين ، الناحية الأولى : وهى الناحية العامة : وفيهـا تظهر روح كل موسيقى وترتيبها وموافقتها لأخيلة وأمزجة مؤلفيها ، ومناخ البلاد التى وضعت فيها وما لها من رقى وانحطاط ، وهذه الناحية قد يكتب فيها الأديب المطلع كما يكتب الموسيقى ، ولعل الأديب يكون أكثر توفيقاً فى الشرح والوصف . أما الناحية الثانية فهى التى تتناول الناحية الفنية من بحث الأغراض التى يذهب اليها التأليف الى اختلاف الأنغـام الى طرق التلحين ، ثم الى شرح الأوزان والمقاييس وما الى ذلك من أقسام تتصل بالموسيقى من ناحيتها الفنية . وهذه الناحية هى التى أرجو أن أقصر عليها عنايتى وأن أستطيع توضيحها وتقريبها الى الافهام .

الموسيقى كأدب اللغة صورة ناطقة حية للعصر الذى وضعت فيه ، والامة التى نشأت منها ، وتكاد اغراض الموسيقى تشابه الاغراض التى يذهب اليها أدب اللغة فى كثير من الحالات ؛ « فالموسيقى الحماسية » هى التى توضع إما لتعبر عن عاطفة قومية وطنية أو لتثير الحمية والاقدام فى النفوس ، وهى تكون تلحينا للاناشيد كنشيد المرسليز الافرنسى ونشيد اسلمى يامصر المصرى ونشيد الجمهورية التركية ، أو تكون فى موسيقى صامتة Sans parole كما فى « مسير الحرب » March Militaire لشوبرت أو « مسير الحرية » لصرصه ولعل هذا النوع من الموسيقى الصامتة فى الموسيقى الشرقية غث لا قيمة له لا يكاد يبعث حماسة أو يوقد حمية اذا استثنينا بعض المسيرات الحربية التركية . يلى هذا النوع من الموسيقى ، موسيقى اللهو والمراقص ، وهى التى تعزف فى الحـــانات ودور اللهو والتى يرقص على أنغامها الراقصون والراقصات ، وهذا النوع من الموسيقى هو أساس الموسيقى الشرقية قديما وما زال متصلا بها الى الآن وإن كان التهذيب قد داخله فى كثير من نواحيه . أما فى الموسيقى الغربيـــة فالتطور عكسى فبعد أن كان هذا النوع فى بدء النهضة الموسيقية راقيا فنيا من نوع الكلاسيك صار يتدهور حتى الحرب العظمى فسقط سقوطا شنيعا وأصبح خلوا من أى شاعرية أو فن والآن اتكلم عن الموسيقى الدينية فهى فى الموسيقى الغربية أساس باقى الأنواع ، فمن معابد روما وهيا كلها انتشرت الموسيقى الدينية فى العالم الغربى ، وكان رجال الدين فى أول أمرهم يقاومون تسرب موسيقاهم الى الخارج بكل شدة ، وكانوا يحافظون عليها كل المحافظة ولكنها ذاعت وانتشرت رغم كل حيطة أو صد ، وكل من حملوا علم النهضة الموسيقية كانوا فى بدء اشتغالهم بالموسيقى يدخلون الكنائس منتظمين فى سلك المنشدين أو لاعبى الارغن وبعد مضى مدة على اشتغالهم وتمرينهم كانوا يخرجون فينشرون تلك الروح التى تأثروا بها فى حياتهم الفنية ، واذكر من هؤلاء النوابغ شوبرت مؤلف أوبرا فيرابراس ، فقد كان أحد المنشدين بكنيسة ليشتنتال وهاندل مؤلف (نيرو) و (ألميرا) و (وراد ميستر) كان عازفا على الأرغن فى كنيسة جويرتزبرج ونشأ هايدن فى كنيسة القديس اسطفان بفينا . وكانوا جميعا عند ما تنضج أرواحهم وتكمل فيهم بوادر النبوغ ، يتمردون على الكنيسة ويخرجون الى العالم الحر الطليق لتحلق أرواحهم فى فضائه متحررة من القيود التى فرضت

عليها فى المعابد . وأعظم القطع الدينية هى (الأوراتوريو) التى منها نشأت (الاوبرا) . أما فى الموسيقى الشرقية فكيان الموسيقى الدينية متهدم لا أساس له ، هذا باستثناء الهند والصين فان لموسيقاهم الدينية طابعا من الرهبة العميقة والتأثير ومن أكبر مؤلفيهم الموسيقيين (تاجور) ؛ أما فى الاسلام فالموسيقى تكاد تكون بدعة لا تحليل لها وان كان هناك شيع وطرق تقيمها فى أذكارها فهى منظور اليها نظرة بغيضة ، وان كنا لا نستطيع أن نغفل ذكر (المولوية) ومركزهم الموسيقى بين موسيقى الاتراك القدماء . وأما فى الديانة القبطية فللكنائس تراتيلها وأناشيدها ولكنها على حال من السذاجة الفطرية لا تجعل لها أهمية من الوجهة العملية وإن لم تخل من خطرها فى التاريخ الموسيقى فهى أصل موسيقى العالم اذا وصلنا موسيقى القبط بموسيقى الفراعنة - ننتهى من الموسيقى الدينية لنتكلم عن الموسيقى التمثيلية ، فهى ركن هام من أركان الموسيقى لا يشتغل به إلا من أوتى قدرة واستعداداً خاصاً ، فكثيرون من نوابغ الموسيقيين الغربيين من أوتوا فى انواع كثيرة من الموسيقى حظا وافراً ولكنهم لما وصلوا الى الموسيقى التمثيلية رأوا أنهم لا يستطيعون أن يضربوا فيها بسهم وخير مثل لنا هو (بتهوفن) الخالد فقد حاول محاولة واحدة فى الموسيقى التمثيلية هى (أوبرا فيدليو) رأى بعدها انه ليس من رجالاتها فرجع الى السيمفونى والسونات واعظم من وضع فى الموسيقى التمثيلية الغربية هو (فاجنر) إله الاوبرا و(لوهنجرين) (وتانهوزر) ومقطوعاتهم تشهد لما نقول اما فى الموسيقى الشرقية فلم يعرف هذا النوع الا حديثا ومازال فى مهده لم يشب عن الطوق . بقى امامنا بعد ذلك آخر قسم وهو قسم الموسيقى التصويرية وهو فى رأينا اجل الاقسام واخطرها ويكون عادة موسيقى صامتة تصور وتشرح مختلف العواطف والمناظر والمؤثرات ومن اوائل من بدأوا بعمل السيمفونى التصويرية (هايدن) ثم (موزارت) ثم سيدهم اجمعين (بتهوفن) وفى الحق يمكننا بوجه عام اعتبار كل انوع الموسيقى تصويرية ، اذ الموسيقى كالشعر يعبر كل بيت منها اوقصيدة عن فكرة او يصف موضوعا ، ويستثنى من ذلك (الدراسات) الخاصة وهى التى يطلقون عليها اسم „ Etude “ فانها تكون عادة لدراسة النغم فى دائرة قواعده واصوله

والموسيقى الشرقية خلو من الموسيقى التصويرية ، وماجلها إلا دراسات للانغام ولا يمكن اعتبار البشارف والسماعيات والبستات إلا نوعا من ال etude فلا تعبر عن فكرة او تصف موضو

ولعل معترضا يقول ، أو ليس ذلك الراعى الجالس على حافة الغدير او وسط المراعى ينقل اصابعه على مزماره وهو يرعى غنمه فيبعث انغاما هى السحر تاثيرا؛ أليس يصور بانغامه مايجيش بصدره من عواطف و آمال ومايتلاعب بفؤاده من أميال وأفكار ؛ وأليس يصور بانغام مزماره ذلك الغدير بعذوبته وتلك المراعى بخضرتها ونضارتها ، وما الى ذلك من تصوير . هذا هو الحق ولكنه تصوير ساذج ضعيف إلا إن جعلنا من مصورى القرية الذين يرسمون صور عودة الحجاج وماشابه ذلك مصورين لهم خطرهم واهميتهم ولكن فى الموسيقى الشرقية الحديثة، هناك من قام بمحاولات فى هذا النوع علها تسير الى التقدم فهى بعد فى مهدها

والآن نتكلم عن الفروق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية من الوجهة العامة فاول مانلاحظه هو تعدد النواحى التى ذهبت الى التعبير عنها الموسيقى الغربية واقتصار الموسيقى الشرقية على نوع يكاد يكون واحدا ، ويشبه ذلك شعر أمتين، تناول فى الاولى كل ماتذهب اليه اغراض الشعر من وصف وغزل ومدح وهجاء ورثاء . . . . . ، واقتصر الثانى على غرض واحد لايتعداه من تلك الاغراض .

كذلك الامر فى الموسيقى الشرقية. لم تعد كونها موسيقى لهو ومراقص وهى تكاد تقصر نفسها على هذا اللون فقط لاتبدله ولا تنهض عنه بينما نجد ان للموسيقى الغربية مذاهب واغراضا متعددة متلونة لايكاد ينتهى منها الباحث .ولعل ذلك راجع كما ارى الى ان نشأة الموسيقى الشرقية لم تكن بالنشأة اللائقة بها كفن سام له آدابه، فهى قد نشأت فى بلاد الفرس والعرب بين الموالى والقيان وفى الحانات التى كان ارتيادها محرما على ذوى المكانة الادبية . ومع ان بعضا من الخلفاء قد اهتموا بامر الموسيقى وعطفوا على المشتغلين بها فان ذلك كان لرفهوا عن انفسهم فى مجلس شراب وانس لا لمجلس جد واحترام وظل الامر كذلك حتى انتقلت الخلافة الى الاتراك فابتدأت الموسيقى ترفع رأسها لتحل محلها الذى كان ينبغى لها ان تحله من قبل.وكان ذلك باشتغال سلاطين آل عثمان انفسهم بالموسيقى ومازال « سوزدلار بيشروى » ـ تأليف السلطان سليم ـ خليفة المؤمنين آيه من آيات الموسيقى الشرقية .

ومما يؤسف له حقا ، ان التراث الفنى للموسيقى العربية قديما مفقود ، إذ لم تكن الحروف الموسيقية (النوتة) متداولة ، أو لعلها

كانت متداولة إلاان ماوصل اليناهنها كالطلاسم لاحل له ولا بيان. وكانت النتيجة اننا لم نرث عنهم سوى الناحية الادبية وهى كما قلنا لاتشرف فى قليل ولا كثير ، بل لعلها قد أثرت اثرها السىء فى الأفهام.

بقيت الآن ملاحظة ثانية على الفروق بين موسيقى الشرق وموسيقى الغرب، تلك هى ضعف الاولى وخلوها ، وامتلاء الثانية وقوتها، وهذا فيما أرى يرجع لسبب لا نملكه.

ينشأ الموسيقى الغربى بين جبال وصخور وبحار عظام تمثل قوة الطبيعة وعظمتها وتهب عليه العواصف وتنقض الصواعق وترعدفى سمائه الرعود فعندما تجول فى مخيلته الموسيقية فكرة نراه تأثر فيها بتلك المؤثرات التى احاطت به والتى تكيفت بها عاقلته ومخيلته. فنراها فى صوته الاجش القوى وفى موسيقاه الممتلئة الضخمة

اما نشأة الموسيقى الشرقى فعلى ضفاف نهر عذب تسطع عليه شمس صافية وتهب من حوله نسمات تتهافت فى الرقة واللطف ، وشد ما قاساه من قسوة الطبيعة وبطشها لفحة حر أو قرصة برد لاتلبث حتى يصفو الجو ويعتل النسيم

ذلك مايحيط بالموسيقى الشرقى وذلك مايوحى اليه بفكرة موسيقاه وهذا ما ترتاح الى سماع التعبير عنه اذنه وهذا سر تلك الرقة التى نشاهدها فى موسيقاه وهى ليست منقصة أو عيبا ولكن الضعف هو ضعف التعبير عن الفكرة كالبيت من الشعر يصف البستان النضر والمنظر الجميل فى اسلوب ضعيف وفكرة غثة وليس العيب فيها عيب الموصوف بل عيب القصور فى التعبير وضعف شاعرية الشاعر

ورقة الموسيقى ليس معناها ضعفها من الناحية الفنية، بل لعلها تكون قوية كل القوة وهى تسيل رقة ولطفا ، ولعل من يسمع Romance لبتهوفن يمكنه ان يفهم ما أعنيه تماما بقوة الموسيقى ورقتها مجتمعين معا .

بقى الآن الحديث عن تركيب الانغام فى كلتا الموسيقتين والاوزان والتاليف فيهما، وارجو أن تتاح لى الفرصة قريبا للكلام عنهما فى اعداد قادمة من (الرسالة)

مدحت عاصم

العلوم

جراحة المخ

للدكتور فريدريك دامرو

استخلصها الدكتور احمد زكى

تقدمت جراحة الأبدان تقدما كبيرا معروفا ألفه الناس ففتر إعجابهم به الا فيما تستجد الايام منه . و كان طبيعيا ان يأتى دور الرأس ، ذلك العضو المخوف المرهوب ، لتُظهر الجراحة فيه من المهارة والبراعة مثل الذى أظهرته فى سائر الاعضاء .

وقد بلغ التقدم فى هذه الناحية فى العصر الحاضر مبلغا قمينا باعجاب العلم ، هُواته ومحترفيه ، إعجابا قد يبلغ حد الهلع اذا لمح اللامح بعينه داخل حجرات العمليـــات فرأى تلك الجرأة التى يأتيها الأطبـــاء فى تناول المخ الحى حتى كأنه بعض الأحشاء ، ورأى كذلك شدة استمساك المخ نفسه بالحياة رغم ماتلعب به تلك الايدى اللّبقة وتقطع منه تلك «المشارط» و«المكاشط»

فى عام ١٩٣١ بمدينة كليفلد بالولايات المتحدة ، اقتطع الدكتور جيمس جـــاردنار النصف الايمن كله من المخ ، ومع ذلك صحت المريضة وقامت بعافية ! وكانت امرأة فى الحادية والثلاثين ، ولها ولدان صغيران ، عانت داء الصّرع عشر سنين ، وانتهى بها إلى أوجاع مريعة فى الرأس ، وإلى بصر أخذ يتضاءل ، حتى أوشك يضيع ، كل هذا بسبب خرّاج داخل جمجمتها كان ينمو فيزداد ضغطه فيكاد يقتلها ألما . حُلِق النصف الايمن من رأســـها ، ثم أزال الدكتور جاردنار جزءا من الجمجمة قطره أربع بوصات و نصف ، وقطع بطانة المخ فتراءى



فى هذه البرهة من العملية انشقت جلدة الرأس ووضعت المشابك فى أطراف هذه الجلدة لتبعدها عن عظم الجمجمة وقد انكشف

له شىء غريب نام كالقرنبيط ، امتد و تفرّع كالسرطان حتى عمّ النصف الايمن كله من المخ . أما النصف الايسر ، فقد كان صحيحا سليما ، وهو النصف الأخطر لاحتوائه مراكز الكلام والكتابة فضلا عن سيطرته على النصف الأيمن من الجسم . كان الدكتور جاردنار يعلم ان حُذّاقا من الأطباء قبله حاولوا إزاحة النصف الأيمن من المخ لبعض المرضى ، وان الموت كان نتيجة مؤكدة فى كل حالة ، ومع علمه هذا أقدم على ما أقدم عليه لأنه كان المخلّص الوحيد الذى بقى للتعيسة المسكينة . وبيدين بارعتين لبقتين عقد الشرايين والأوردة بأناشيط محكمة أوقفت نزف الدماء ، ثم أخذ يكشط المادة المخية بما فيها الخرّاج حتى أفرغ نصف الجمجمة ، وعندئذ ملأ الفراغ بمحلول دافىء من الملح ، ثم رد العظمة الى موضعها ، فسدّ

الرأس. ثم أثبتها بالحرير، ولم أطراف جلدة الرأس فخاطها، وانتهت العملية بسلام

وبعد ساعات أفاقت المريضة فتعرفت أصدقاءها وتحدثت اليهم، وأسرع شفاؤها، وكانت فى نقاهتها تقرأ وتكتب، وذهبت عنها أوجاع الرأس ونوبات الصرع. مع وأن ذراعها ورجلها اليمنيين ظل بهما شيء من تيبس وصلابة، الا أنها استطاعت ان تمشي، وبعد ثلاثة أشهر ونصف من يوم العملية كانت من الصحة بحيث استطاعت ان تعود الى ما كانت عليه من العناية بولديها بنفسها

ان من أغرب خصائص المخ الانسانى مقدرته على الاستفاءة من عثرات تخال قاضية. اذكر حادثة من حوادث الحرب الكبرى: جيء بجندى من خط النار، وكانت مقدّمة رأسه مرصعة بشظايا قنبلة، فأخرجنا قطعة منها قطرها بوصتان سكنت من المخ مسكنا عميقا بين فصيه الأماميين ولم نجرؤ أن نمس بقية القطع لتباعدما بينها، ومع ذلك شفى المريض شفاء معجزا. لم يشل. ولم تصب حواسه بسوء؛ وكل ما بقى عنده بطء فى الكلام ونسيان للمواعيد

وفى الرابع من يوليو عام ١٩٣٠ وضع يافع فى الثامنة عشرة من عمره صاروخين مشتعلين فى اسطوانة مضخة هواء من تلك التى تستخدم لنفخ إطارات العجلات، فانتسفا بشدة عظيمة قذفت بعود المضخة الحديد فى رأس الشاب، دخل من قرب عينه اليمنى واخترق مخه حتى برز من ناحية الرأس الأخرى وجاء الدكتور جويل سوانسون، فأعطاه دَسَمًا Antitoxin يقيه كزاز الفك وعقّم ما نتا من طرفى العود باليود، ثم انتزعه. واشتفى الشاب واستكمل سنة فى دراسته الثانوية ولم يتأثر عقله من الحادث أى تأثر ظاهر

وفى إحدى المصحات الاوربية تسجات حادثة اخرى غريبة: رجل حذاء انتابه جنون وفى اثناء احدى النوبات اراد ان ينتحر فدق المسامير فى رأسه وجيء به الى المستشفى وبرأسه خمسة مسامير طول الواحد منها بوصتان كلها غائرة فى المخ.

فانتزعها الجراح فصح المريض بعدها وغادر موفور العافية

وأغرب من هذا كله قصة فاعل عاش عشرين سنة من بعد أن نفذ فى رأسه قضيب سمكه بوصة بسبب انفجار، دخله من دون عظمة الصدغ الايسر ومر فى العين اليسرى ففقاها، وبجزء كبير من المخ فأتلفه، ثم خرج من قمة الجمجمة. استعاد هذا العامل صحته واستمر يعمل فى الحقل حينا ويشتغل حوذيا حينا ويجيد فى كلا العملين على السواء. فلم تكن منه يوماً شكاة على اختلاف مستأجريه.

لقد أفادت هذه الحوادث العلم، وقعت اتفاقا فاعانت الاطباء على تفهم هذا العضو الخطير من الجسم، فاخذوا شيئا فشيئا يجمعون عنه الحقائق بما يأتيهم عفواً من هذه الاصابات وبما يقصدون من دراسته فى مرضاهم، وبتشريحه وفحصه بعد الموت اذا خاب العلاج. وكذلك بإحداث مرات زود بتيارات الكهرباء فى رؤوس القردة والكلاب

فى الحرب الفرنسية البروسية استخدم الكهرباء طبيبان ألمانيان «جوستاف فرتش» و«ادوارد هتسج» استخدماه فى تنشيط أمخاخ الجرحى وأحدثا لأول مرة حركة فى الجسم الانسانى بواسطة التيار والجسم فاقد الشعور. مسّا بقطب التيار موضعاً من المخ فتحرك الرجلان، ومسّا موضعاً آخر فتحرك الرأس، ثم مسّا ثالثا فتحركت الاصابع. وزاد فى ايضاح العلاقة التى بين مراكز المخ وأعضاء الجسد تجارب أمثال تلك، أجراها العلماء على الكلاب والشامبانزى، فاصبح الطبيب اليوم يستدل باعراض الجسد على مواقع الفساد فى المخ فيشق الرأس حيث أصل الداء بلا حدس ولا تقريب، فجراحة الرأس لا تحتمل حدساً ولا تقريبا


الرأس ومناطقه الاربع المذكورة بالمقال

أنت نفسك تستطيع أن ترسم على رأسك خريطة تدلك على مواضع تلك المراكز. ابدأ بأصل أنفك عند ملتقى

الحاجبين ، وارسم خطا يمر بانتصاف جبهتك ويعلو إلى أعلى جمجمتك ثم يمتد خلفا إلى بصلة رأسك ، بعدذلك نصّف هذا الخط ، واذهب نصف بوصة وراء هذا المنتصف ، ومن هذه النقطة ارسم خطين يميلان عن الخط الأول الى جانبى رأسك بزاوية قدرها سبعون درجة ، وبذلك تكون انقسمت الرأس الى خانات أربع ، فنى الخانتين الاماميتين توجد المراكز التى تهيمن على الحركة فى الجسم ، وفى الخانتين الاخريين توجد المراكز التى تضبط الاحساسات التى يتعرض لها الجسد

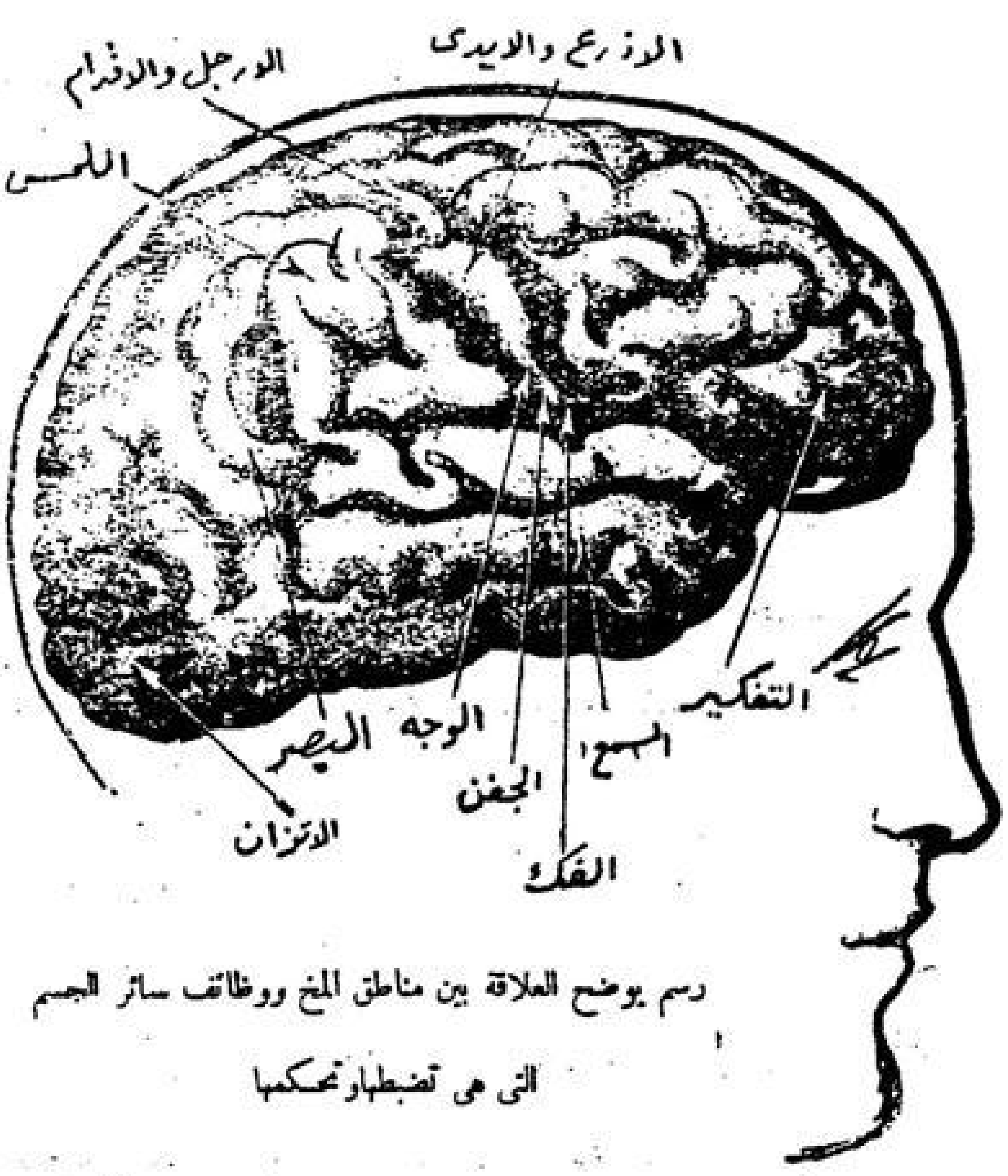
ووراء جبهتك توجد مراكز التفكير ، فان كان هذا الموضع من رأسك عظيما فاعلم أنك مفكر كبير ، وإن وجدته فى رأس غيرك صغيراً ضئيلا فاعلم عكس هذا منه . وفى الانسان المستوحش وفى البسطاء تتراجع الجبهة إلى الوراء انضماراً لان هذا الجانب من المخ لديهم لا يستكمل نماءه . ومن لعجيب المستغرب ان هذه المراكز إذا أصابها تلف بخراج أو سلعة (١) نهض جانب آخر من المخ ليتولى التفكير مكانها

ولقد ورّث كثير من العبقريين رؤوسهم من بعد موتهم للعلم ليفحصها رجال الطب . من أولئك الكاتب الفرنسى الكبير أناتول فرانس ، كانت لفات مخه عظيمة وخلاياه السمراء كبيرة كبراً غير عادى . كذلك لينين ، مؤسس الجمهورية الروسية وواضع البلشفة ، جزّئ مخه ... ٣١ جزءا ، فحصت جميعها . كذلك «ترجوينف» Turgueneff الروائى الروسى كان له مخ من أكبر الامخاخ المقيسة ، كانت زنته أكثر من أربعة أرطال . ومع هذا فحجم الرأس ليس مقياسا دقيقا مطردا للذكاء ، دليل ذلك أن من الأمخاخ المعروفة مخين زادا وزنا عن مخ «ترجوينف» وكان أحدهما لأبله . واذا زاد مخ عن مخ فليس معنى هذا زيادة فى عدد وحداته فالوحدات سوا وانما تزيد الوحدة عن أختها حجما ووزنا

وفى النصف الخلفى للرأس توجد مراكز الابصار ، فاذا نمت فيها نامية او أصابتها إصابة ، سببت العمى . وجزء المخ المجاور للأذن يحكم السمع ، وأمام الجزء الأسفل لمراكز الحركة يوجد مركز الصوت ، فنحن نسمع الكلمات مقولة بجزء من المخ ، ونراها مكتوبة بجزء آخر ، ونقولها بجزء ثالث

واذا حدث اضطراب لأى من هذه المراكز ، حدثت أحداث غريبة . كان أستاذ يحسن اللغتين الاغريقية واللاتينية ، فأصيب فى حادث بضربة على رأسه فلما أفاق واشتفى مما أصابه وجد أنه فَقَدَ اللغتين جميعا وعبثا حاولت أن تسترجع ذاكرته كلمة من أيهما ، وذلك ان خلايا مخه التى تختزنهما أصابهما تلف لا إصلاح له

وفى حادث آخر انسدّ شريان دقيق يحمل الدم الى بعض الخلايا المخية بمنطقة الابصار من رأس امرأة مثقفة، وما أمسى الليل وانفلق النهار بالنور حتى وجدت هذه المسكينة أنها عجزت عن القراءة وأصبحت الكتب لا تحمل اليها من المعانى أكثر مما تحمله إلى الفلاح الأمى . كانت تنظر إلى الكلمة فتراها رسما لا صلة له باللغى . أصابها عمى الكَلِم وعلى هذا المثال يحدث صمم الكَلِم . تصاب الخلايا الخاصة به فيسمع المنكوب كل الأصوات ، ويسمع الكلمات ، ولكن خلوا من المعانى



رسم يوضح العلاقة بين مناطق المخ ووظائف سائر الجسم التى هى تضبطها وتحكمها

ومنذ أشهر قليلة حدث حادث عجيب فى «لوس أنجلس» بأمريكا الشمالية . فتاة مكسيكية دخلت مستشفاها العام للعلاج

(١) نمو غريب يظهر فى الجسم Tumour

فقاس الأطباء فيما قاسوا درجة حرارتها فكانت ٣ و٤٣ والمعروف فى الطب ان درجة ٤٢ قاتلة . واستمرت هذه الحرارة عالية شهرا من الزمان . فحصها المختصون فأجمعوا على ان سلعة درنية نمت من مخها فى المنطقة التى تضبط درجة الحرارة فى الانسان فساء ضبطها

إن الجراح يستطيع اليوم أن يرسم خريطة للمخ كاملة تتبين فيها خلايا المخ وما تختص به من وظائف أعضاء الجسم المختلفة فهو إذا اتاه مريض عرف من أوجاعه وأعراضه أى مناطق الرأس اختل فيذهب إليها قدُما فلا ينحرف عنها قيد إصبع

أذكر رجلا شفيناه من التصرع استهداء بتلك الخريطة كانت تبدأ الرجفة فى وجهه فعرفنا من هذا أن أصل الداء واقع بمنطقة الحركة بمؤخر المخ . وأردنا زيادة فى التحقق ودقة فى تحديد الموضع ، فخرقنا ثقبين فى مؤخر الرأس ، وغرزنا فى مادة المخ إبرتين جوفاوين ومصصنا من سائله بعضه ، ثم ملأنا الفجوة التى خلت بالهواء ، ثم أخذنا صورة سينية (١) أرتنا أن تلك الفجوة غير منتظمة وأن شكلها استطال فى ناحية وانبعج فى أخرى بسبب ضغط سلعة لم تتراجع مع مادة المخ تحت ضغط الهواء المحقون.. بهذا الكشف الجديد تعرفنا على موضع السلعه حتى لكأنما رأيناها رأى العين ، ثم أزلناها

ويختلف حس المخ اختلافا كبيرا تبعا للموقع الذى يحصل الفساد فيه ، فقد لا تتعدى البثرة رأس الدبوس حجما فتحدث أعراضا مريعة هائلة ، ثم قد تبلغ فى موضع آخر قبضة اليد حجما قبل أن تحدث حدثا خطيرا

منذ أعوام جاءنى صديق يهوى لعبة التنس يشكو من ذراعه أنه لا يتجه بالكرة الجهة التى يريدها ، وأنه عبثا حاول استرجاع الاصابة التى كانت له منذ حين ، وهذه كانت كل شكاته . فامتحناه فتبين ان سبب ذلك سلعة بقدر البندقة فأزلناها وبذهابها رجعت إليه رمايته الأولى . رجل مبخوت هذا الصديق الذى نحن بحديثه ، فلولا ملاحظته الدقيقة لما فطن أحد إلى دائه الخبيء ، ولزادت سلعته حتى لشق استئصالها أو استحال . وقد أصبح أطباء العصر من أجل ذلك وأمثاله حريصين على تعرف السلع فى المخ ولما تكبر ويستفحل أمرها

منذ أعوام كانت خراجات المخ تُحتسب من العلل الوبيلة التى لا رجاء فيها ، وكانت جراحات المخ تنتهى بالموت بنسبة لا تقل عن ٨٥ فى المائة . أما اليوم فقد تحسنت طرقها وأُحكم تفصيلها وجدّ الطب فى استبانة عللها قبل أن تشب ، فزاد عدد الناجين من الموت الذى كان محققا بالأمس زيادة تطرد على السنوات

وقد ثبت أن ١٠ فى المائة من المجانين يختل صوابهم من جراء إصابات تقع لرؤوسهم . وقد ثبت أن رجالا محترمين موقرين استحالوا أشرارا مجرمين بسبب صدمة أو دقة على رؤوسهم آذت أمخاخهم . ومن الغريب أن نتائج هذه الصدمات قد لا تظهر إلا بعد أسابيع من وقوعها . مثال ذلك أن رجلا من أهل السواد أصابته رصاصة ضلت سبيلها ودخلت من مؤخر رأسه ، فأسرعوا به إلى المستشفى ، وكان أول ما يعمل لفحصه بطبيعة الحال تصوير رأسه بأشعة س ، ولكن كان وقع بالمستشفى حريق فى أيام قريبة سابقة فقضى على جهاز الأشعة ، فلم يجرؤ الجراح على سل مشرطه وهو لا يعلم موضع الرصاصة ، فتركت حيث كانت وتعافى المريض ظاهراً وغادر المستشفى ، ولكن بعد سبعة أسابيع أخذ بصره يضعف وآذن بالعمى ، فعاد إلى المستشفى فصوروا رأسه فتراءى لهم أن الرصاصة سارت فى المخ رويدا حتى حلت منه فى موقع الابصار ، ولما انتزعوها عاد إلى الكفيف بصره

وغير هذا ما حكاه السير «وليم هويلر» الجراح الارلندى الشهير ، ذكر أن رصاصة دخلت رأس رجل وظلت هناك أربع سنوات حتى سكنت من المخ حيث تترابط الافكار فأصابت ذاكرته وبصره وسمعه ، وأخرجت فعادت اليه كل هذه جمعاء

(١) بأشعة إكس أى س

القصص

نشيد الكرنك

للاستاذ محمد فريد ابو حديد

لقد كانت أياما مليئة بالحياة . جادها النيث اذا الغيث همى جلسنا بعد سير طويل عند مدخل البهو ذى الاعمدة ، وأخذ بعض الرفقة ينطقون أوتار المزهر والكمان والقانون فترتفع مقاطعها المتآلفة المتناسقة بأحسن الانغام واطيب الالحان ثم تجاوبت الاصداء العجيبة من نواحى ذلك البهو الفسيح ، فاذا الجو حوله يطن بأمواج مختلفة القوة من أصوات عذبة ساحرة ، واستلقيت على مسافة من الجمع اذ كنت من أكثرهم تعبا ، ولكنى وأن عزبت عن الضجة والصخب لم تفتنى نفحات الموسيقى الحلوة وقد صفاها البعد ونقاها

وفيما انا كذلك اذا بى وقد تمثلت ذلك الهيكل منذ كان فى شبابه ، ورونقه ، وقد قامت فيه الاعمدة باسقة تحمل تيجانها النيلوفرية وتكسوها النقوش البديعة الذهبية ، وفى مداخلها المسلات النحيلة الرشيقة تلمع رؤوسها النحاسية فى ضوء الشمس المائلة الى الغروب ، ثم تمثلت منظر الهيكل يوم عيد عظيم وقد ازدحم بالكهنة يصطفون للقاء فرعون وهم ينشدون نشيد الترحيب والتكريم ، حتى اذا ما أقبل خروا الى الاذقان ركعا لابن إلاله وسليل حوريس .

فخيل الى وأنا وسط هذه التاملات ان ذلك الصوت المنبعث الى آذانى من موسيقى اصدقائى هو صوت هؤلاء الكهنة يتردد بين جدران المعبد القائم الجديد . وغرقت فى خيالى واذا بى وقد لف الظلام ماحولى . واذا بى ارى من خلال الظلام عالما سحريا عجيبا ينشر من بين هذه الاطلال الهرمة :

رأيت (فرعون) مقبلا يحمل فى يمناه عصا مذهبة وعلى رأسه تاج تحف به من أسفله الحية الملكية

فخر الوقوف ساجدين وتعالت فى جنبات المعبد أصداء موسيقى بديعة للنشيد الملكى وألقى فى روعى ان معناه

لاح حورماخيس يملأ الارض بأنوار الصباح

يا ابن أوزيريس روحك الاقدس من روح بتاح

وكان (فرعون) نحيل الجسم قصير العود تعلو وجهه الاسمر صفرة كصفرة الترجسة الذابلة . ولما رأيته وتبينت ملامحه لم أملك نفسى ان صحت صيحة مكتومة قائلا . (أتعرف توت عنخ آمون ؟) اذ كان صاحب الصورة التى الفنا رؤيتها منذ كشفت المقبرة المشهورة .

وقد كان المنظر الذى حولى يدعونى الى الخشوع والرهبة . غير أنى مع ذلك وجدت من نفسى كبراً أن أسجد لمخلوق ، فلم أسجد مع الساجدين ، وكنت أخشى أن يمسنى من ذلك سوء . غير أنى تعجبت إذ رأيت الحاضرين لم يزعجهم ذلك بل كأنهم لم يلحظوا شيئاً .

فتجرأت وقمت أسير وراء موكب الملك بين صفوة المتقربين وهامات رجال الجيش وكبار الكهنة .

وسار (فرعون) فى سبيل مرسومة الى ان بلغ قدس الاقداس خلال الاغصان الملتفة والاوراق المتعانقة المتراقصة . كأنها الرقراق من جدول يجرى بعد الترويق ، أو النسيم يسرى من تعدد المسارب والثنيات ، فكانت اذ بلغتنى تتوارد هينة مصقولة

ومن ذلك قصة طفل فى الشهر الحادى عشر من عمره ، سقطت على رأسه لبنة فكسرت جمجمته ، فكانت تأتيه لهذا السبب ارتجافات عنيفة ، ثم انقطعت . ولما بلغ عامه السابع عشر أخذ ينتابه صرع شديد اشتفى منه باحدى براعات الطب أتاها الدكتور شارل هريسن من تكساس بأمريكا .

ذلك أنه ارتأى أن الصرع جاء من ضغط العظم الصديع على المخ ، ففتح الجمجمة فتحة أطالها وراء الرأس من الأذن الى الأذن على شكل حذاء الفرس ، ثم رفع الجمجمة ، وقطع شريحة دهنية من فخذ المريض فوضعها تحت عظام الرأس حيث الصدع لتفعل فعل الوسادة فتتاقى الضغط دون المخ . وقد نجحت العملية نجاحا تاما وزال الصرع وعاد الشاب الى مدرسته يستعد للحياة استعداد أقرانه ، ويامل منها مثل آمالهم عمراً مديداً وعيشا رغيدا

تصحيح

جاء فى مقالة (سمك البكلاه) المنشورة فى العدد الماضى ص ١٠٧ عمود ٢ سطر ٥ (تحليله وتقديره) والصواب (تخليله وتقديده) وفى ص ١٠٧ أيضا عمود ٢ س ١١ (٠ و ٧٥) والصواب (٤٠ و ٧٥) وفى ص ١٠٨ ع ٢ س ١ (متعضونة صغيرة ومن الفطريات) والصواب ومن الطحالب .

فتخلف عنه القواد وسجدوا إيذانا بالوقوف عند حد الحرم الممنوع، ولكنى دخلت وراء الموكب ولم يبق فيه الا الملك والكاهن الأعظم وبعض كبار الكهنة يحملون فى أيديهم هدايا الملك الى إله طيبة الاعظم (آمون). فلما أن بلغوا المذبح وضعوها بأيديهم وانحنوا إجلالا، ثم وضعوا البخور فى المجامر وعلا صوتهم بنشيد قدس الأقداس :

آمون بارك سليل العلا ومن فيه يجرى دم الاقدسين.

ولكنهم وقفوا حيث انتهى بهم السير، ودخل الملك وحده الى الحرم الاقدس يتبعه الكاهن الاعظم، فترددت قليلا ثم عاودتنى الجرأة فسرت وراء الملك الى قلب ذلك المكان المحرم، ولكنى عجبت اذ لم يمنعنى أحد ولم تلتفت الى عين. ولقد راعنى الامر وهالنى مخافة أن أكون أقدمت على انتهاك حرمة جزاء الاعتداء عليها الهلاك. فقد كنت أعرف ان ذلك الحرم لا يحل دخوله الا للملك ولرئيس الكهنة، وان الموت هو العقاب لمن يدخله من غيرهما. غير أنى مع ذلك لم ألو على شىء، بل سرت قدما وسط الظلام الدامس الذى لا تضىء فيه الا ذبالة ضئيلة فى زجاجة حمراء لا يكاد الانسان يتبين فيها إلا أشباحا كأنها الظلال المتحركة

ولما صار الملك هناك وحده مع الكاهن، أقول وحده لأن كل الادلة تدل على أنه لم يلحظ وجودى — استلق على مقعد استلقاء الجهد السقيم وأنة المتوجع المكلوم.

وسمعت صوت الكاهن الهادى يخترق ذلك الظلام بنبرات خفية متزنة ولست اذكر الفاظه ولكنى كنت افهم ما أسمع بالهام عجيب : قال (أى بنى ! شملتك رحمة آمون)

فصاح الملك صيحة مكبوتة (ايها الشيخ ! نحن هنا وحدنا)

فقال الكاهن (أعرف ذلك ولهذا أطلب لك رحمة آمون)

فقال الملك بالصيحة ذاتها (ليتنى كنت لا أعرف ! ليتنى كنت أستطيع أن أصدق !)

فقال الكاهن (اى بنى ! انك لازلت شابا وقد يغتفر للشاب أن يشك احيانا)

فصاح الملك (اشك ؟ اننى لا اشك. إنما أنطق عن عقيدة. فماذا يكون لتمثال مصنوع من الذهب فى قلبى من الاحترام ؟)

فقال الكاهن بلهجة مرة (ولكنك ملك.

واذا كنت لاتستطيع ان تصدق فعليك ان تصدق.)

فقال الملك محتدا (ماذا أصدق ؟

هل أصدق أن آمون إله يرحم، أو جبار ينتقم ؟ نحن هنا وحدنا فلا بأس أن تقول الحقيقة مجردة. ليس آمون هو الذى يتطلب منى الايمان والخضوع بل هو (آى) الكاهن الأعظم وليس هو آمون الذى يرضى ان يسخط بل هم الكهنة الذين يحملون رمزه ويقومون على سدانة تمثاله الأخرس. هم كهنة آمون الذين يطلبون منى الخضوع والعبادة) فقال الكاهن بهدوء (ثم ماذا ؟)

فقال الملك (ومع ذلك فقد كنت صريحا مع نفسى ورضيت بتغيير اسمى من (توت عنخ آتون) الى (توت عنخ آمون) فتركت الاله القادر الواحد وآمنت بالله مزيف وانا عالم باننى إنما أومن باله مزيف لكى أضلل وأزيف

فقاطعه الكاهن وقد غلب الغضب على هدوئه وسخريته المرة قائلا :

«حسبك ياساكاى»، فصاح الملك «ساكاى !»

فأجاب (آى) «نعم ساكاى. انك لاتمت الى الملوك الابصلة النسب والاعتقاد. وقد بطل ذلك الاعتقاد الفاسد فى إلهك (آتون) منذ مات ذلك المجرم الذى كان يحكم فى (آخناتون) واما علاقة النسب فمن السهل البحث عن علاقة اقوى منها واجدر بالملك»

وعند ذلك لاح شبح الملك وهو ينهض غاضبا ويرفع رأسه متحديا. ولكنه لم يقل كلمة واحدة بل بقى واقفا وصدره يزدحم بانفاسه. ونهض الكاهن كذلك ووقف امامه واستمر فى قوله، وكان فى حماسته يحرك رأسه ولحيته الطويلة بشىء من العنف ويرفع رأسه عاليا مع مافى ظهره من انحناء الشيخوخة : قال «لاتغضب من الحق، وان شئت ان تغضب ففكر فى العاقبة قبل ان تخطو فى سبيلك خطوة واحدة. اننى احذر. اننى انذر. والبلاد كما ترى فى أشد حالات الاضطراب والفوضى. وقد صارت كالنسر المجرد من ريشه او الاسد الذى قلمت اظفاره.»

فعاد الملك الى مقعده وأن أنة أخرى اعمق من الاولى واشد مرارة ثم استمر الكاهن فقال :

«ومع ذلك فاسمع قصة قصيرة قد تكون مغنية عن قول كثير. اننا نحتفل اليوم بعيد اختيار آمون لجد زوجتك الملكية، الملك تحوتمس الثالث. ولقد كان ذلك الملك العظيم كما تعرف غير مرشح للملك لأنه ابن حظية لا تجرى فى أمه دماء الآلهة. ولكن آمون رضى عنه ومال اليه فى أول دورة، ووقف أمامه فى يوم احتفال كهذا فاظهر بذلك ارتياحه اليه وصار الملك من ذلك اليوم اليه، فتنحى أبوه عن الملك وتنحى أخوه بل لقد تنحت اخته نفسها وهى التى تجرى فى عروقها دماء الآلهة. اتعرف هذا ؟»

فتمتم توت عنخ قائلا «نعم. اعرفه» فقال الكاهن «واذن فلك الخيار. سأقول اليوم كلمتى اذا اخرجنا من هنا على مسمع من

رجال الدولة والكهنة والامراء . واذا شئت فارفض ماأقول »

قال هذا ثم نهض رافعا رأسه واتبعه الملك الصغير مطاطئ الرأس حزيناولمامر (توت عنخ) على مقربة مني وقعت على وجهه شعاعة من ضوء الذبالة فاذا على وجنته دمعة تترقرق وتلمع في الضوء الخافت

ولما بلغ الكاهن الاعظم مكان المحراب عرج عليه لكي يؤدى فرضا من الفروض المرسومة والقى بعض البخور فى المجامر المتقدة ثم سار وراء الملك حتى بلغا الفناء الفسيح فى وسط الهيكل ، وكان هناك الحشد الحافل من أهل الدولة والكهنة والقواد والامراء فخروا جميعـــا للاذقان سجدا يتلقون الملك والكاهن الاعظم ، ثم جلس الملك على عرش منصوب فى الصدر ، وقام الكاهن الاعظم فألقى كلمة قصيرة قال فيها :

« أيها القواد العظام والامراء الكرام ! لقد دخل الملك العظيم ابن الآلهة الى قدس الأقداس وتجلت له أسرار آمون وظهر من ايمانه وبره ماجعل الإله العظيم يتجلى له . ولكن تجلى آمون للملك العظيم . فالشكر لآمون »

فسجد الجمع ،مرة اخرى وقام الملك سائرا نحو الكاهن الاعظم وكانت خطاه مترددة مضطربة . ثم قال بصوت مختنق متهدج « المجد لآمون » فعلت عند ذلك ضجة من الجمع الخاشع كأنها ضجة التهليل والتسبيح .

وارتفع صوت الكهنة بنشيد الملك :

(لاح حودماخيس ، يملأ الارض بأنوار الصباح) ثم حمل الكهنة تمثال آمون الذهبي وداروا به حول الفناء أمام الحضور حتى أتوا أمام عرش الملك فوقفوا وأقبل التمثال محمولا على الاعناق لكى يبارك الملك المحبوب المؤمن

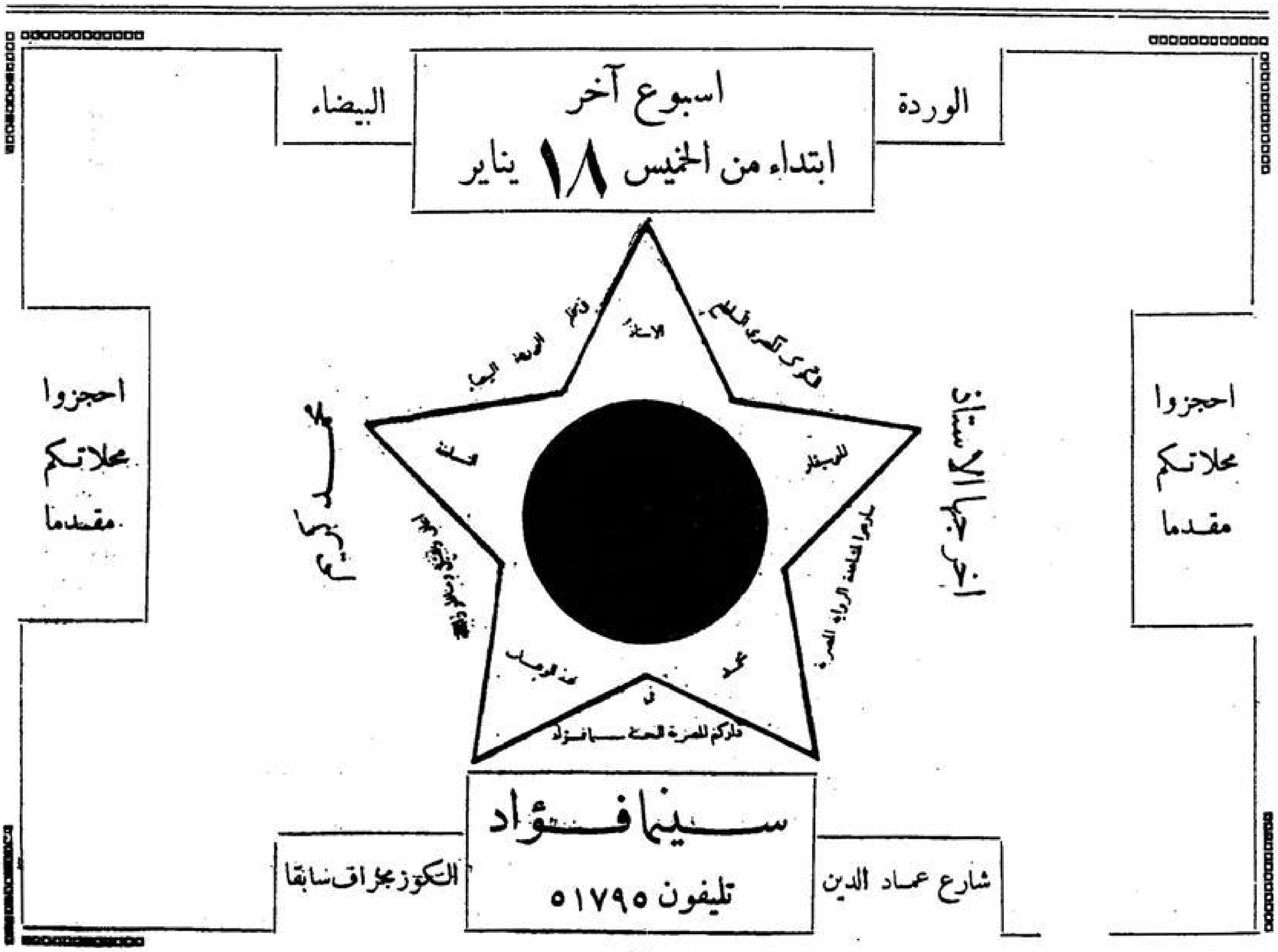
لقد تجلى آمون (لتوت عنخ) ورضى عنه لمـا فى قلبه من الايمان ، وقام الملك بعد ذلك يتعثر فى مشيته وقد زاد وجهه شحوبا على شحوبه وغارت عيناه وترددت فيهما قطرات تكاد تعشيهما . وعند ذلك علا صوت الكهنة مرة أخرى بنشيد

« آمون بارك سليل العلا »

فتجاوبت به الاصداء بين جدران المعبد وتماوجت نغماته فمكان بعضها يفنى كما تفنى الموجة اذا اتسعت دائرتها وبلغت مداها وتجددت من أعقابها موجة أخرى لا تلبث أن تبلغ مداها

وعند ذلك انجلى الظلام وأسفر المنظر فاذا باخوانى ينشدون نشيدهم على آلات الكمان والعود والقانون . واذا بى لازلت متنحيا منهم ناحية راقدا على جانب حجر مكتوب الصفحات .

محمد فريد أبو حديد



من أحاديث العيد

(بقية المنشور على صفحة ٤)

اليوم الثقيل الذى شيعت فيه فقيدين عزيزين فى اقل من ساعتين .

بهذا وامثاله كنت اتحدث الى نفسى أيام العيد ، فاذا سألتنى عما كنت اتحدث فيه إلى الناس وعما كان الناس يتحدثون فيه الى حين كنا نلتقى ، فبالبؤس ! وبالفقر وبالشقاء ! وبالجدب الحياة وافلاس الاحياء ، كنا نتحدث عن الازمة المالية ، وكنا نتحدث عن السياسة ، وكنا نتحدث عن غدو المندوب السامى مع الطير يوم العيد وما يحيط بغدوه ذلك من اسرار واخبار ومن تاويل وتعليل . ثم كنا نتحدث عن بعض هذه الاشياء الممتازة التى ظفرت باحاديث الناس وشغل الصحف وعناية رجال الامن : كنا نتحدث عن ذلك الخاتم الذى اضطرب له رجال الامن وعطلت له دار من دور التجارة ، واتصل حوله تحقيق طويل دقيق ولم تبح صحيفة مصرية عربية او غير عربية لنفسها ان تعرض عنه أو تطوى اخباره عن قرائها ، ثم اصبح الناس يوم العيد فاذا الصحف تنبئهم بأن سيدة قد التقطته أمام مدرسة من المدارس فظنت جوهره من الزجاج ولم تعلم انه حجر نفيس ، وان مدينة القاهرة مضطربة له اشد الاضطراب ، وان قيمته تربى على الفين من الجنيهات . وكنا نتحدث عن هذا الدبوس الذى افتقدته صاحبته فلم تجده ، فارتاعت لفقده وهمت وهم أصحابها أن يقولوا قصة كقصة الخاتم ، ولكن شابا لم يلبث أن التقطه فرده الى صاحبته ، فلم يضطرب رجال الأمن ولم يحتج رجال التحقيق الى النشاط ، ولم تزد الصحف على أن روت الخبر رواية يسيرة قصيرة فى مكان غير ظاهر ولا ممتاز . وكنا نقارن بين قصة الخاتم وقصة الدبوس وبين حظ الخاتم وحظ الدبوس. وكنت أقول لاصدقائى وهم يبتسمون ويضحكون ويفلسفون : على رسلكم أيها السادة ، فلو قد سألتم ذلك الخاتم أو هذا الدبوس عما يعرفان من التاريخ ، ولو قد أراد الخاتم وأراد الدبوس أن يقصا عليكم بعض ما يعرفان لما ابتسمتم ولا اضحكتم ولا أغرقتم فى الفلسفة هذا الاغراق . فليست قيمة الخاتم والدبوس فى هذه الجنيهات التى تربى على الالف أو تبلغ المئات فحسب ، ولكن قيمتهما فيما يحملان من ذكرى وما يصوران من حياة ، وفى هذه الصلة التى تصل بينهما وبين القلوب والنفوس . قال صديق ماكر : فحدثنا اذن عن خاتمك الذى فقدته ، فقد يظهر أنك فقدت خاتما أيضا وان أمره قد ارتفع الى رجال الشرطة ثم هبط الى الصحف ثم ذاع بين الناس . قلت وانك لتتحدث عن هذا الخاتم هازلا كأنما تغض من أمره وتزدريه ، فهل تعلم انى حزنت عليه حزنا شديدا ! وهل تعلم انه ليس أقل خطرا ولعله أعظم خطرا عندى من ذلك الخاتم وهذا الدبوس ؟ وهل تعلم انه يمتاز من ذلك الخاتم وهذا الدبوس بأن له فى الحياة المصرية العامة آثارا باقية ، به أصبح قوم دكاترة . وبه أدرك قوم آخرون اجازة الليسانس ، وبه صرف كثير من امور الدولة ، وقضى فى مصالح كثير من الاساتذة والطلاب أعواما ، فحدثنى أين يقع من هذا كله اثر ذلك الخاتم وهذا الدبوس فى حياة المصريين ؟ ومع ذلك فلم تبلغ قيمته ألفا ولا مائة ، ولا عشرة من الجنيهات ، استغفر الله ، بل لم تبلغ قيمته عشرة من القروش ، وانما كانت قيمته قرشا ونصف قرش ليس غير ، اتخذته حين كانت الاشياء رخيصة ، فى ذلك الزمن ، الذى كنا نستطيع أن نبلغ فيه بالقرش كثيرا من المآرب والحاجات ، اتخذته فى باب الخلق ، وأنا خارج ذات يوم من دار الكتب ، وكنت فى الرابعة والعشرين من العمر ، وكنت أريد أن أسافر الى أوربا ، وأظهر لى هذا السفر أنى شخص من الأشخاص ، يجب أن أذكر مولدى ، وأعرف سنى ، وأقدر ما آتى من الاعمال ، فى ذلك الوقت بحثت عن شهادة الميلاد وكانت ضائعة ، فعرفت سنى وكنت أجهلها ، وفى ذلك الوقت قيل لى إن من أتى عملا أو قال قولا وجب عليه أن يمضيه ، فاتخذت هذا الخاتم ، صنعه لى رجل كان يصنع الخواتم قريبا من المحافظة ، ثم عبر معى البحر ، وصحبنى فى فرنسا طالبا ، وصحبنى فى الجامعة استاذا ، عمل معى فى أعمال الدولة ، وامضى معى عن امور الدولة ، وكان صديقا أمينا ، لست أدرى ، كيف قبلت فراقه حينا ، وائتمنت عليه صاحبى ، حتى أقبل ذات يوم ينبئنى أنه افتقده فلم يجده ، هنالك ضقت به وضقت بالناس ، وضقت بالحياة كلها وقتا غير قصير ، ثم زعم لى زاعم أن الامر يجب أن يرفع الى الشرطة فرفع اليها ، وهبط الى الصحف ، ولكن الشرطة تلقت أمره باسمة ، ولكن الصحف نشرت امره مداعبة ، ولمن الاصدقاء تحدثوا عنه مازحين ، أفرأيت ان قيم الاشياء تختلف لا باختلاف آثارها ، ومكاناتها ولكن باختلاف اصحابها ، فلو كنت رئيس الوزراء ، لما ابتسم الشرطى ، ولما داعبت الصحف لانى فقدت خاتما ، ولكنى لست رئيس الوزراء . فيبسم الشرطى ، ولا يأتى حركة وتداعب الصحف ، وتمزح انت ويمزح هؤلاء. بهذا وأمثاله ، كنا نتحدث أيام العيد ؟

طه حسين